الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية أدرار
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد التداولية في خطاب التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي
تخصص: الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي .

إعداد الطّالبة:
❖ أم الخير بامهدي

إشراف:
الأستاذ الدكتور: إدريس بن خويا

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
أ.د/ سعاد شابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	رئيساً
أ.د/ إدريس بن خويا	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
أ.د/ رشيد عمران	أستاذ التعليم العالي	جامعة بشار	عضواً
د/كريمة صنباوي	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	عضواً
د/أحمد بن عمار	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	عضواً
د/عبد القار قصباوي	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	عضواً

السنة الجامعية: 2021-2022م 1442-1443هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي عملي المتواضع إلى من كانا السبب في وجودي

وبهما أنار الله دربي

والداي الكريمين

رب ارحمهما كما ربياني صغيرة

DESIGN_WAREZ.BU

مقدمة

مقدمة

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وحجة الله البالغة بآياته المتجدّدة، أظهر الله به مكانة حبيبه ونبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وأيّده به، ومدحه وأعلى شأنه فيه، هو الخطاب الموجّه لجميع العقول والأفهام، ببلاغته المعجزة وحسن بيانه.

كثرت الدراسات على اختلاف مناحيها حول هذا الكتاب، للوقوف على أسراره وكشف معانيه وتدبّر آياته واستخراج أحكامه...، ولعلّ من بين الدراسات التي اهتمت وعنيت بالكشف عن إعجازه اللغوي والبياني الكتب التفسيرية الكثيرة التي تركها علماؤنا، ومن هذه التفاسير: تفسير في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نحن بصدد تسليط الضوء عليه من خلال قراءته في ضوء اللسانيات التداولية، محاولين قدر المستطاع كشف جوانب ممّا جاء به و ما جاءت به الأبحاث التداولية من مفاهيم.

تعدّ الدّراسات التّداوليّة اليوم من أهم و أبرز البحوث في ميدان الدراسات اللسانية التي اهتمت بالبحث عن معاني الكلام وأغراضه. هذه البحوث لم تكن غائبة أبدا عن أذهان علمائنا قديما و حديثا؛ صحيح أنهم لم يفردوها بكتب مستقلة تتناول قضاياها، وتفصّل مسائلها، لكن في الوقت نفسه نجدهم يشيرون إليها من حين إلى آخر، مؤكّدين أهمّيتها في التّرجيح بين الآراء والتفسيرات المحتملة. من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي نطمح من خلاله إلى الكشف عن إنجاز الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا المجال.

ذلك أن قراءة ما أنجزه علماؤنا ومقاربته من منظور حداثي بآليات معاصرة ضمن تيارات لسانية حديثة أصبح أمرا ضروري ليتمكّن الباحث من كشف أوجه التشابه والاختلاف بين ما هو موجود عندنا وما هو موجود لدى الباحثين الغرب، وللوقوف أيضا على القيمة العلمية و الفكرية لعلمائنا ومنهم الشيخ ابن باديس رحمه الله.

الهدف من قراءتنا لتفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس في ضوء هذه النظرية الحديثة(اللسانيات التداولية) هو محاولة الكشف عن الأدوات التي قرئ بها الخطاب الإلهي، التي لا

تخلو من السمات التداولية، إذ لا يمكن النظر إلى النص القرآني نظرة مجردة بعيدا عن الاستعمال، وإنما باعتباره إنتاجا لغويا ضمن سياق عام دوره تحديد دلالته المقصودة.

وقع اختيارنا لهذا الموضوع لجملة من الأسباب نجملها في الآتي:

- رغبتنا في القيام بعمل يتصل بكلامه جل شأنه.

- الوقوف على أهمية تفسير في مجالس التذكير من نواحي مختلفة، والكشف عن خصائصه وميزاته، وكذا شخصية صاحبه(الشيخ عبد الحميد بن باديس) من خلال الوقوف على منهجه وتحليلاته و الآراء التي أشار إليها وهي من أبحاث الدرس اللساني الحديث.

- البحث عن الأبعاد التداولية عند علمائنا خاصة المفسّرين، من خلال مدونة تفسير في مجالس التذكير، لما لهذه المدونة من مكانة في ميادين مختلفة أهمها ميدان الإصلاح الاجتماعي، لذلك عنينا بالكشف من خلالها عن المنحى التداولي الذي هو من صميم الدراسات اللغوية الحديثة.

- أهمية الكشف عن مدى ارتباط الدرس اللساني الحديث بالتراث العربي في مختلف ميادينه ومنها ميدان التفسير.

لقد سطّرنا بهذا البحث مجموعة من الأهداف لتحقيقها ومحاولة الوصول إليها تتمثّل أهمّها في ما يلي:

- الكشف عن البعد التداولي الحاضر في مدوّنة التفسير للشيخ عبد الحميد بن باديس، وملامح النظرية التداولية عنده.

- عرض أهم الأدوات الإجرائية التي استخدمها ابن باديس في بيان مقاصد الخطاب القرآني، والكشف عن قيمته التداولية.

- الوقوف على الأهمية التي يحظى بها تفسير في مجالس التذكير في مجال الدراسات اللغوية، البلاغية، النحوية، اللسانية.

وحتى يحقّق هذا الموضوع أهدافه ومراميه، كان الانطلاق من تساؤلات وفرضيات تم طرحها في معالجتنا للموضوع منها:

- ما أهم المفاهيم اللغوية التي وظّفها ابن باديس في خطابه التفسيري؟ وكشفها من خلال الخطاب الرباني؟
- هل يمكن اعتبار هذه المفاهيم من صميم الدرس التداولي؟
- ما القيم التداولية التي اشتمل عليها التفسير؟
- أين تتجلى معالم المنحى التداولي في تفسير ابن باديس ؟ وما موقع هذا التفسير من الدراسات التداولية الحديثة؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في البحث المنهج الوصفي بتقنية التحليل كونه الأنسب للموضوع، من حيث وصف بنية الخطاب التفسيري عند ابن باديس، ومحاولة الكشف عن آليات المنهج التداولي، كما اعتمدنا توظيف المنهج التقابلي في مجال المقابلة بين الدرسين اللغويين الغربي والعربي للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف.

وعليه جاءت خطة البحث كالآتي:

مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول تتألف من عناصر، ثم خاتمة, وهي موضّحة كالآتي:

مقدمة:

تم الحديث فيها عن التعريف بالموضوع و منطلقاته، مع الإشارة إلى المدوّنة المعنية بالدراسة وحدود هذه الدراسة، أسباب اختيار الموضوع والهدف المرجو منه، طرح الإشكال، التعرف على منهج الدراسة، عرض خطة البحث و أجزائه.

مدخل: والمعنون بـ(البحث التداولي مفاهيم ومصطلحات).

تناولنا فيه قسمين:

القسم الأول: البحث التداولي (مفهومه ونشأته)، وضم:

مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح

الأصول التراثية للبحث التداولي

نشأة التداولية وتطورها

التداولية(مهامها، أهميتها، خصائصها)

القسم الثاني: الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، وضم:

التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس.

التعريف بتفسير(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

الفصل الأول: والمعنون بـ الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في تفسير(في مجالس التذكير)، وضم أربعة عناصر: الأفعال الكلامية بين البحث الغربي و التراث العربي، الأفعال الكلامية في تفسير (في مجالس التذكير)، الاستلزام الحواري(مفهومه وأهم مبادئه)، الاستلزام الحواري في تفسير ابن باديس .

الفصل الثاني: والمعنون بـ الإشاريات و أنواعها في تفسير (في مجالس التذكير)، وضم: مفهوم الإشاريات، الإشارة والإحالة، أنواع الإشاريات في تفسير(في مجالس التذكير).

الفصل الثالث: الحجاج في تفسير(في مجالس التذكير)، وضمّ أربعة أقسام:

.الحجاج (مفهومه، ضوابطه ومفاهيمه الأساسية)، واشتمل على تعريف الحجاج، مفهوم السلالم الحجاجية، والروابط والعوامل الحجاجية.

أصناف الحجاج و أنواع الحجج الباديسية، و ضم التعرف على أنواع الحجاج والحجة في تفسير ابن باديس.

الشروط التي نجحت بها الحجة الباديسية.

التقنيات والوسائل الحجاجية في تفسير مجالس التذكير.

الخاتمة: وفيها تم التركيز على أهم النقاط التي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث و إجابات الأسئلة المطروحة في الموضوع.

أما في ما يخص مكتبة البحث، فقد استمد البحث أفكاره من خلال اعتماد بعض أمهات الكتب كمفتاح العلوم للسكاكي، دلائل الإعجاز للجرجاني...، كما اعتمدنا بعض أهم الكتب الحديثة ككتاب التداولية من أوستين إلى غوفمان لفليب بلانشيه، التداولية لجورج يول، التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود نحلة، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، ولا يمكننا إغفال مدوّنة البحث والتي هي تفسير(في مجالس التذكير) للشيخ عبد الحميد بن باديس.

من بين العقبات التي حالت بيننا وبين كشفنا الدقيق للمفاهيم التداولية في تفسير (في مجالس التذكير): ما تميّز به تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ فهو من ناحية مرتبط بالنص القرآني ومعانيه، ومن ناحية أخرى صاحبه من رواد الفكر الإصلاحي في الجزائر، فكان ليس من السهل إمكانية قراءة المدونة ومقاربتها من منظور البحث التداولي.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نرجع الفضل في إخراج هذا العمل لله عز وجل صاحب الفضل والعطاء والمنة، ويليه الذي هو أهل للشكر وله واجب، أستاذنا المشرف أ/د إدريس بن خويا الذي كان الأب والأخ والرفيق الهيّن اللّيّن؛ فقد فتح قلبه قبل مكتبته، ومكتبه، ولم يبخل بإرشاداته ونصائحه لنا بعدم التوقف والاستسلام، ذلّل الصعاب ويسّر السبل إلى أن استوى العمل على سوقه ونرجو أن يعجب الجانين، كما نشكر اللجنة الموقرة التي تكبّدت عناء قراءة هذه المذكرة وقبلت مناقشتها لأجل إثرائها، وكذا كل من ساهم في إخراج هذا العمل من إخوة وزملاء.

مدخـــــــــــل

البحث التداولي مفاهيم و مصطلحات.

1/ البحث التداولي مفهومه ونشأته.

لم تعد الدراسات اللسانية – في أيامنا هذه – تقتصر على تيارين كانا مهيمنين على الساحة اللغوية (البنوي والتوليدي)، وإنما انبثقت تيارات لسانية أخرى أفرزتها المعرفة من بينها التيار التداولي، وقبل التطرق إلى حيثيات هذا الجانب من البحث اللغوي، لا بد من وقفة موجزة لتحديد معنى مصطلح (تداولية) .

أ. التداولية لغة :

يعود مصطلح تداولية في أصله العربي إلى الجذر (دول) ؛فقد ورد في معجم لسان العرب : « دَوَلَ: تداولنا الأمر أخذناه بالدول . وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر...ودَالَت الأَيامُ أَي دَارَتْ، وَاللَّهُ يُداوِلها بَيْنَ النَّاسِ. وتَداوَلَتْهُ الأَيدي: أَخذته هَذِهِ مرَّة وَهَذِهِ مرَّة... ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة.»[1]

وجاء في القاموس المحيط «...تَداوَلوهُ: أَخَذوهُ بالدُّوَلِ...ودالَتِ الأيَّامُ: دارَتْ، واللهُ تعالى يُداوِلها بينَ الناسِ. والدَّوْلُ: لُغَةٌ في الدَّلْوِ، وانْقِلابُ الدَّهْرِ من حالٍ إلى حالٍ...»[2]

انطلاقا من التعريفين نلاحظ أن دلالة الجذر (دَوَلَ) لا تخرج عن معانٍ تبدو متقاربة من بينها: التحوّل والتبدّل (بمعنى التّغيّر) والانتقال، سواء في الحال أو المكان وغير ذلك مما يوقف الدارس للتنبه إلى أن هناك أكثر من طرف في أي فعل من الأفعال السابقة (تحولا، تبدلا، انتقال ...)

وقد وردت اللفظة في محكم التنزيل بصيغة المضارع المسند لضمير الجمع في قوله تعالى:إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [3] ويفسرها ابن كثير بما معناه أن الألم والفرح

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (دول) ،دار صادر ،بيروت ،ط3، 1414هـ ،ج 11 ص 252–253.

[2] القاموس المحيط،مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ،ط8، 2008، ص 1000– 1001.

[3] سورة آل عمران ،الآية 140.

تارة يكون للمؤمنين وتارة عليهم ؛ فيكون الأعداء غالبين وتارة الغلبة للمؤمنين، غير أنّ النصر في الأخير يكون للمؤمنين، يقول بهذا الصدد: « أي نُديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم لما لنا في ذلك من الحكم.»[1]، ويشير الطبري إلى بعض هذه الحكم بقوله: « حدّثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وتلك الأيام نداولها بين الناس . إنه و الله لولا الدول ما أوذي المؤمنون، ولطن قد يدال للكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، ويعلم الصادق من الكاذب .»[2]

ويتضح من هنا أنّ الله سبحانه وتعالى يصرّف الأيام بين الناس ابتلاء وتمحيصا لقلب المؤمن حتى يثبت على إيمانه، وللكافر كي يراجع نفسه ولا يبقى على عصيانه، وهذا ما يؤكد أن التداول هو الأخذ مرة بمرة.

ووردت اللفظة بصيغة (دولة) في قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[3]، وفي هذا الصدد يقول السعدي: «كي لا يكون دولة : أي مداولة واختصاصا بين الأغنياء منكم فإنه لو لم يقدره، لتداولته الأغنياء الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء .»[4]

من هنا نتأكد أن مفهوم التداولية يتطابق ومعنى الانتقال سواء في: الحال أو المال أو الزمان والمكان، وكذا التحول أو التغير.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ،تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2، 1999،ج2،ص127.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ،تح :محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،ط2000،1،ج7، ص239.

[3] سورة الحشر ،الآية 7.

[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص850.

تشير أغلب الدراسات إلى أن الأصل الأجنبي لمصطلح (تداولية Pragmatique) يرجع إلى الكلمة اللاتينية Pragmaticusالآتية من الجذر Pragma والذي يعني العمل أو الفعل Action، ثم بفضل اللاحقة أصبحت الكلمة تطلق على كل ما هو عملي.[1]

أما ما يقابل هذا المصطلح باللغة العربية ؛ فقد اصطلح الباحث طه عبد الرحمن وغيره من الدارسين مصطلح (التداولية) مقابلا للمصطلح الأجنبيPragmatics بالإنجليزية أو Pragmatique بالفرنسية ؛ لثبوته بدلالة التداول أكثر من المصطلحات الأخرى كالذرائعية، النفعية، السياقية ...، يقول "طه عبد الرحمن" في توصيفه للفعل تداول، أثناء عرضه لمفهوم المجال التداولي: « تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ؛ فيقال نقل عن قائله بمعنى رواه عنه...ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها ... فالنقل والدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين، أو قل معنى التواصل، ويدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين أو قل معنى التفاعل...؛ فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل...»[2]

نستنتج أنّ معنى ومجال التداول هو نفسه التواصل والتفاعل بين المتخاطبين؛ حيث يقتضي التلفظ بالقول إيصاله بفعل إجرائي يتضح من خلاله مدى تفاعل اللغة مع الظروف والمقامات في مجتمع ما.

<u>التداولية اصطلاحا:</u>

[1] ينظر: معجم لونجمان للإنجليزية الحديثة ،إنجليزي عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان مصر،2007، لبنان، ط،4,2011، ص881.

[2] تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت (لبنان)،ط2،د-ت، ص244.

من الصعب إيجاد تعريف اصطلاحي شامل ودقيق لمصطلح (تداولية)؛ ذلك أن هذا الجانب من الدراسة متعدّد المعارف والمصادر، كما تتداخل جوانبه وبحوثه مع كثير من العلوم المعرفية الأخرى كعلم الاجتماع، علم النفس، اللسانيات وعلم الاتصال...؛ فنجد العديد من الباحثين ينطلقون في تعريفاتهم من ميادين تخصصهم، لكن ما يهمّنا هنا هو الجانب اللساني من هذه المعرفة. لأنّ التداولية علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره" كما تشير بانتمائها إلى حقول مفاهيمية ذات مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال؛ فهي تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة كالفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية ومنها علم النفس المعرفي ممثّلا في نظرية الملاءمة ومنها علوم التواصل، وكذا اللسانيات .[1]

فاللسانيات التداولية هي عبارة عن اتجاه لغوي يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال مراعيا بذلك قصد المتكلم وحال المخاطب؛ فهي بذلك تعنى بأقطاب العملية التواصلية لاعتبار المتكلم محرك العملية التواصلية كما تراعي حال السامع أثناء الخطاب دون إغفال للظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالخطاب التواصلي، فهي علم جديد من خلاله تتم محاولة علاج الكثير من مشاكل التواصل مع كشف المعوقات ووضع حل لها.

تختص التداولية بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)، حيث يتضمن ميدان الدراسة هذا تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق فيما يقال مع التّمعن في الآلية التي ينظِمُ من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله

[1] ينظر: التداولية عند العلماء العرب ،مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت– لبنان،ط1، 2005،ص16

حسب هوية السامع، وأين ومتى وتحت أية ظروف، كما يعنى بالكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالاتهم حول ما يقال للوصول إلى قصد المتكلم.[1]

ويؤكد هذا ما ذهب إليه الدكتور طه عبد الرحمن لاعتباره أن التداولية تحمل معنيين معا هما التواصل والتفاعل، الشيء الذي يضفي على العملية التواصلية شيئا من الحركية بين أطرافها.

تصنّف التداولية داخل نظام علامي عام له جذوره في مشروع **(بيرس)** وبعض اللغويين أمثال: **شارل موريس، كارناب، وليم جيمس**؛ فالبراجماتية كان ظهورها حتى عام 1878م حيث كتب **بيرس** مقاله المشهور(كيف نجعل أفكارنا واضحة؟)، وهو بمثابة امتداد لمقال تثبيت المعتقد سنة 1877م، معترضا بذلك على رأي **باركلي** في قوله بأن الطريقة الوحيدة لتقرير طبيعة المعنى المتميز لأي لفظ هي أن نسأل: هل نستطيع تعيين أية فكرة عقلية تتطابق معه؟ (أي اللفظ)، أما **بيرس** فيرى أن أي حد أو لفظ مجرد لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه، ثم أضاف فيما بعد أن معنى أية فكرة يكمن في النهاية في تأثيرها على أفعالنا [2]، وهذا هو المعنى الذي جاء به كمفهوم للتداولية على أنها تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها.

تعتبر سنة 1938 م سنة ميلاد لمصطلح تداولية على يد **(شارل موريس)** الذي قسم دراسته للرموز اللغوية على ثلاثة ميادين 1/ التركيبي: يهتم بعلاقة العلامات فيما بينها 2/الدلالي: يدرس علاقة العلامات بالواقع 3/التداولي: يهتم بعلاقة العلامات بمستعمليها و

[1] ينظر: التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الأمان، الرباط،ط1، 2010م، ص19-20 .

[2] ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د/ نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب الحديث(عمان ،الأردن)، ط2009،1م، ص98.

استعمالها وآثارها .[1] ما يوضح أن **موريس** عد التداولية جزءا من السميائية، وبهذا فقد قرّب بين السيمياء واللسانيات.

عرّفت التداولية بعديد التعريفات فعدّت:

في نظر **فرانسيس جاك** بأنها: « دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية في نفس الوقت. »[2]

كما عرّفها **سفز**L.Sfez باعتبارها : «الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل.»[3]

ويعرّفها **فرانسواز ريكاناتي** بأنها: دراسة تهتم باللغة في الخطاب وإبراز السمات التي تميزه، قصد تأكيد طابعه التخاطبي .[4]

وهناك من الباحثين من صنّف تعريفات التداولية إلى حقول هي:

- تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي.

-تعريفات ترتبط بحقل موضوع التداولية و وظيفتها.

-تعريفات ترتبط بحقل التواصل والأداء.

-تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى.

كما عدّها بعض الباحثين تداوليات ليست تداولية واحدة فهناك:

-تداولية البلاغيين الجدد.

-تداولية اللسانيين.

---

[1] ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا(تونس)، د-ط، د- ت، ص442.

[2] التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع (سورية)، ط1، 2007م، ص19.

[3] التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه ،المرجع نفسه، ص نفسها.

[4] ينظر، المرجع نفسه،ص19-20.

-تداولية المناطقة والفلاسفة.[1]

وهناك من الباحثين من جعل لها فروعا نظرا لشساعة المجال فهناك:

-التداولية الاجتماعية: تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

-التداولية اللغوية: تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.

-التداولية التطبيقية: تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

-التداولية العامة: تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا.[2]

وعلى العموم تعرّف التداولية على أنّها: «دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللغوي الذي تعنى به تحديدا اللسانيات. »[3]

والتداولية حسب التعريف الذي عدّه محمود نحلة مقبولا هي: « دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction . »[4]

يتّضح مما سبق أن التداولية تختص بالجانب الاستعمالي للغة؛ فتهتم بدراسة المعنى الكامن للكلمات بين مستعمليها ومتلقيها في سياق محدد، متجاوزة بذلك مستوى الوصف إلى مستوى أكثر عمقا وتحديدا، مهمّتها بذلك استيعاب الظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية ومحاولة وضع شروط نجاح هذه العملية في سياقاتها المختلفة.

---

[1] ينظر: التداولية مفاهيم ومصطلحات، عبد الحفيظ تحريشي، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، ع20، مارس 2012م، ص182.

[2] ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة،دار المعرفة الجامعية،د-ط،2002م، ص15.

[3] القاموس الموسوعي للتداولية،جاك موشلر،آن ريبول،تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين ،دار سيناترا ،المركز الوطني للترجمة ،تونس،د-ط، 2010م،ص21.

[4] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص14.

2) الأصول التراثية للبحث التداولي:

تشتمل اللغة العربية شأنها شأن اللغات الطبيعية الأخرى على عديد الصيغ والأدوات التي يستعملها المتكلم لكي يعرب عن مدى القوة الإنجازية التي يضمنها قوله، ليتمكن المستمع من فهمها والاستدلال عليها كالاستفهام والتقرير والتمني والطلب والنفي والترجي....؛ فكان على طوائف من علمائنا العرب – سِيما البلاغيين – أن تعرضوا لمثل هذه القوى المتضمنة في القول لتحديد ما يقتضيه حال الخطاب تطبيقا للقاعدة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، – وغير البلاغيين هناك النحاة والأصوليون والفلاسفة أو علماء المنطق– فكان اقترابهم من الدرس التداولي استنادا لهذه العلوم التي انشغلوا بها، موظفين ما يسمى بالمنهج التداولي، إذ يعتبر علماء البلاغة إلى جانب الأصوليين خير من مثّل الاتجاه تمثيلا فريدا حيث ربطوا في دراساتهم بين الخصائص الصورية والتداولية للموضوع المدروس، كما درسوا البنية وخصائصها وعلاقتها بالمقامات المختلفة، موصلين بذلك بين المقال والمقام.[1] الشيء الذي جعل الدكتور صلاح فضل يعتبر البلاغة تداولية في جوهرها ويستند في قوله هذا على رأي **ليتش،** لأنّها عنده: « ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محدّدة للتأثير على بعضهما.»[2]

الواضح من هذا أنّ البلاغة العربية اهتمت بالجانب التواصلي في اللغة في بعده التداولي؛ فكل من المتكلم والسامع يسهمان في إنجاز الفعل اللغوي، فالمتكلم هو من ينشئ الخطاب ويتحكّم في انفتاحه غير أنّ السامع له أيضا مشاركة فعّالة في إنتاج هذا الخطاب، ومدى مطابقة قول المتكلّم والوقوف على أحوال السامع ومقام الخطاب لأغراض يحددها المتكلم يسهم في إنجاح العمل اللغوي بين الطرفين معا.

لقد تناول العرب قديما الخطاب وكل ما يرتبط بالمخاطِب وكيفية أدائه للخطاب والمخاطَب وطريقة تلقيه للخطاب، ويعتبر الجاحظ أبرز من تناول القضية في كتابه البيان

[1] ينظر: عبد القادر عواد، آليات التداولية في الخطاب، ،مجلة علامات، ج74، مج19،يوليو 2011م، ص53.

[2] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل،سلسلة عالم المعرفة، أغسطس،د–ط، 1992م،ص89.

و التبيين متحدّثا عن ماهية البيان يقول: « ...على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع و أنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه...والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.»[1]

يتحدث الجاحظ عن الشروط التي يتم بها البيان بين القائل والسامع من وضوح دلالة وصواب إشارة...والبيان عنده هو ما يكشف به قناع المعنى الخفي ويفضي بالسامع إلى كشفه والاستدلال عليه لأن غرض كل من السامع والقائل هو الفهم والإفهام وهما مبدآن تداوليان.

لم يكتف الجاحظ بهذا بل تحدّث في موضع آخر من كتابه عن الفعل التواصلي بصورة منهجية ودقيقة إذ: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. »[2]

فلابد لكل فعل تواصلي من أطراف مشاركة فيه، لذلك حدد هنا ما ينبغي –بداية–للمتكلم معرفته ومراعاته أثناء الخطاب لاعتباره محرك العملية التواصلية.

ونجد أبا هلال العسكري يتحدث هو نفسه عن الموضوع في كتابه الصناعتين يقول: «و ينبغي أن تعرف المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات،

[1] البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال ،بيروت،د–ط،1423هـ، ج1، ص80–81.

[2] المصدر نفسه، ج1،ص131.

فتجعل لكل طبيعة كلاما، ولكل حال مقاما، حتى تقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار الحالات، وأعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال.»[1]

لقد عالج بعض علمائنا – النحاة– بعض الظواهر التركيبية كالتقديم والتأخير و الإثبات والنفي...، متوصّلين إلى أنّ البِنى التركيبية تتبع الوظيفة التواصلية؛ فهذا عبد القاهر الجرجاني يؤكّد أنّ معنى الكلام مرتبط بقصد المتكلم و أنّ المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة تشتمل على دلالة زائدة عن اللفظ وخارجة عنه وهي مرتبطة بقصد المتكلم، ومنها الخبر، لأنّه في اعتقاده: «أنّ الناس إنّما يكلّم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلّم ومقصوده ..(ثم) لا يتصور أن تفتقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة إلى دليل يدل عليها، زائد على اللفظ. كيف؟ وقد أجمع العقلاء على أنّ العلم بمقاصد الناس في محاوراتهم علم ضرورة، ومن ذهب مذهبا يقتضي أن لا يكون " الخبر" معنى في نفس المتكلّم، ولكن يكون وصفا للفظ من أجل دلالته على وجود المعنى من الشيء أو فيه أو انتفاء وجوده عنه... ».[2]

يشير الجرجاني هنا إلى أهمية معرفة قصد المتكلم في تحديد دلالة العبارة في التواصل وكذا أهمية الاستدلال في تحديد منحى اللفظ أهو خبر أم لا.

وغير اللغويين فقد استثمر علماء الأصول فهمهم للأفعال الكلامية ضمن الأسلوب الخبري في تحليلاتهم للنصوص الدينية، فربطوا بين الخبر وغيره من الأغراض الأسلوبية الأخرى التي اكتشفوها في معالجتهم والتي منها: الشهادة والرواية، الدعوى والإقرار، الوعد والوعيد...إلخ، كما لجأ بعضهم إلى تقسيم الخبر انطلاقا من بعده التداولي، وخير مثال ما

[1] الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح:علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت،د–ط، 1419هـ،ص135.

[2] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،دار المدني، جدة،ط3، 1992م، ص 530.

فعله الآمدي (ت631هـ) الذي قسّم الأخبار المتعلّقة بالآثار النبوية الشريفة بعدما عرّج على حقيقة الخبر، فهو عنده: « عبارة عن اللفظ الدال بالوضع على نسبة معلوم إلى معلوم أو سلبها على وجه يحسن السكوت عليه من غير حاجة إلى تمام مع قصد المتكلم به للدلالة على النسبة أو سلبها. »[1] وهو عنده ثلاثة أقسام:

1- خبر صادق أو كاذب: حسب مطابقته للمخبر به أو عدم مطابقته له.

2- خبر يعلم صدقه أو كذبه، لا يعلم صدقه أو كذبه.

3- خبر التواتر والآحاد.[2]

والملاحظ للتعريف الذي جاء به الآمدي هو اعتماده في مفهوم الخبر وتقسيماته على الجانب التداولي والاستعمالي من ذلك: قصد المتكلم والنسبة الخارجية ومدى مطابقة الكلام لها أو عدمه...

وتعتبر هذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي اشترك في معالجتها وبحثها علماء عرب اختلفت توجهاتهم ومجالات درسهم، ومن أبرز الذين أسّسوا لها أيضا في تراثنا وتعمقوا في بحثها نذكر: أبا بشر عمرو بن قنبر سيبويه، أبا نصر الفرابي، القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي، جلال الدين الخطيب القزويني، أبا علي بن سينا، أبا يعقوب السكاكي وغيرهم كثير، وما يمكن قوله أنّ لهذا الجانب في تراثنا العربي جذورا متشعّبة يكفي وحدها أن تشكّل بحثا شاسعا قيما مستقلا بذاته، غير أنّ المقام لا يسع للحديث عن كل ما جاء به علماؤنا في هذا البحث .

[1] الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي،بيروت – لبنان،د-ط، د-ت، ج2، ص09.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص10- 13.

نشأة التداولية وتطورها:

تعتبر اللسانيات التداولية درسا جديدا يذهب أغلب الباحثين إلى أنّه انبثق ونبع من التفكير الفلسفي في اللغة بزعامة **غوتلوب فريجه**(1925-1848) صاحب كتاب " أسس علم الحساب" الذي ضمّنه بعض التحليلات اللغوية من أهمها:

تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا وهما: اسم العلم والاسم المحمول(عماد القضية الحملية)؛ فقد بيّن أنّ وظيفة المحمول (وهو ما يسند إلى اسم العلم) هي التّصور أي إسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم، أما اسم العلم فإنّه يشير إلى شيء فرد بعينه، كما ميّز بين المعنى والمرجع وربط بين الإحالة والاقتضاء وهما مفهومان تداوليان هامان ؛ فأحدث بذلك قطيعة بين الفلسفتين القديمة والحديثة معرفيا ومنهجيا، وسار على الدرب نفسه الفيلسوف النمساوي **لودفيغ فيتغنشتاين**(1951-1889) منتقدا مبادئ "الوضعانية المنطقية". فأسّس اتجاها فلسفيا جديدا سماه فلسفة اللغة العادية، وأهم ما يميّزه هو بحثه في المعنى واعتباره بأنّه ليس ثابتا ولا محدّدا.[1]

والواضح في الأمر أنّ فلاسفة التحليل اتخذوا اللغة موضوعا للدراسة كما اعتبروها من أولويات أي مشروع فلسفي وعدوها أداة معرفية ضرورية لتحقيق هذا الهدف.وأصبحت التداولية مجالا يعتد به الدرس اللغوي المعاصر في العقد السابع من القرن العشرين على يد ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد وهم: **أوستين** J.L.Austin **وسيرل**J.R.Searle و**جرايس**H.P Grice، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعيةNatural language أو العادية ordinary في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التي يمثّلها **كارناب**، وكان جل اهتمامهم منصبا على طريقة توصيل اللغة الإنسانية الطبيعية، فيما لم يستعمل أي منهم مصطلح تداولية فيما كتب من أبحاث.[2] وقد مهد كل من **أوستين** و **سيرل** لما يسمى بنظرية الأفعال الكلامية،

[1] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص18-21.

[2] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص9- 10.

والتي يقصد منها الأفعال المحققة فعلا من قبل مستعملي اللغة في مواقف لغوية محددة، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعة ما يسمى باللسانيات التداولية (أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشاريات...).

وقد أنكر **أوستين** أن « تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إما يكون صادقا أو كاذبا و أطلق عليه المغالطة الوصفية »[1]؛ فقد انطلق من ملاحظة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب « لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيرها أو تسعى لتغييرها.»[2] وانطلاقا من هذه الملاحظة ميز **أوستين** بين نوعين من الجمل الأولى وصفية تقبل حكم الصدق أو الكذب، والثانية إنشائية لا تحتمل الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب وإنما يحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق[3]، وهي تنفرد عن الجمل الوصفية في كونها«تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل "أمر" و"وعد" و"أقسم" ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل، وتسمى هذه الأفعال أفعال إنشائية».[4]

واكتشف **أوستين** فيما بعد عدم بساطة المقابلة بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية كما ظن، لأن هناك جملا إنشائية لا تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، كما لا تتضمن أي فعل إنشائي مثل: رفعت الجلسة. الشيء الذي قاده إلى وضع مفهوم جديد مفاده أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، كما ميز في مفهومه للأعمال اللغوية بين ثلاث أنواع: العمل القولي، العمل المتضمن في القول و عمل التأثير بالقول؛ ففي الجملة: تأمر الأم ابنها قائلة"نظف أسنانك" يرد الابن"أنا لا أشعر بالنعاس" يمثل العمل

---

[1] المرجع السابق ،ص 43.

[2] التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول، جاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيبانى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط1، 2003م، ص30.

[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص31

[4] المرجع نفسه،ص نفسها

القولي تلفظ بالجملة"نظف أسنانك" والعمل المتضمن في القول هو الفكرة التي تحملها الجملة لمجرد سماع الابن لها، أما عمل التأثير بالقول فيتمثل في رد الابن "أنا لا أشعر بالنعاس" ومعنى هذا إقناع الأم بتأجيل موعد تنظيف الأسنان إلى وقت النوم.[1]

تعتبر جهود أوستن بمثابة نقطة الانطلاق لإكمال مساعيه من طرف تلميذه **سيرل** الذي اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال اللغوية، ويمكن إيجاز ما جاء به **سيرل** فيما يلي:

- يمثل الفعل الإنجازي عنده أصغر وحدة في الاتصال اللغوي، كما أن للقوة الانجازية دليل يبين نوع الفعل الإنجازي انطلاقا من نطق المتكلم للجملة، ويمثل في اللغة الإنجليزية : نظام الجملة، النبر، التنغيم، و علامة الترقيم في اللغة المكتوبة وصيغة الفعل والأفعال الأدائية .
- الفعل الكلامي عنده أوسع لأنه يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي ولا يقتصر فقط على مراد المتكلم .
- طور شروط الملاءمة عند **أوستين** فجعلها أربعة وطبقها بإحكام على كثير من الأفعال الإنجازية وهي:

1-شروط المحتوى القضوي: وهو المعنى الأصلي للقضية ويتحقق هذا الشرط في فعل الوعد مثلا إذا دل على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه .

2-الشرط التمهيدي: يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

3-شرط الإخلاص: ويقصد منه إخلاص المتكلم في أداء الفعل .

- الشرط الأساسي: وهو محاولة المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل .

[1] ينظر: باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، ، مجلة المخبر،جامعة محمد خيضر ،بسكرة،ع7، 2011،ص161

- صنّف الأفعال الكلامية على ثلاثة أسس منهجية وهي: 1- الغرض الإنجازي 2- اتجاه المطابقة 3- شرط الإخلاص، كما جعلها خمسة أصناف: 1 – الإخباريات 2- التوجيهات 3- الالتزاميات 4- التعبيريات 5- الإعلانيات .
- تمييزه بين الأفعال الإنجازية المباشرة والغير مباشرة عن طريق القوة الإنجازية ومطابقتها لمراد المتكلم.[1]

التداولية (مهامها، أهميتها، خصائصها):

تتلخّص مهام البحث التداولي في كونه: دراسة لاستعمال اللغة في طبقاتها المقامية المختلفة أي باعتبارها " كلاما محددا" صادرا من "متكلم محدد" وموجها إلى " مخاطَب محدد" بلفظ "محدد" في " مقام تواصلي محدد" لتحقيق "غرض تواصلي محدد" .

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات .
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر .
- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنوية الصرف في معالجة الملفوظات.
- محاولة تحقيق كيفية وصف الاستدلالات في عملية التواصل .
- محاولة إيجاد النموذج التواصلي الأمثل (أهو الترميز أم الاستدلال؟)
- توضيح العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك، وكشف العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (علم اللغة، علم التواصل، علم النفس المعرفي).[2]

ويعدّ **فان دايك** أن من مهام التداولية: دراسة شروط نجاح العبارات، وصياغة شروط ملاءمة الفعل لإنجاز العبارة، ومدى ملاءمة كل ذلك لبنية الخطاب ونظامه، ويوضح هذا في قوله: «إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة وبيان أي جهة

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص47-51.

[2] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، محمود صحراوي،ص26-27.

يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر، وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية تقوم في صياغة مبادئ، تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة: أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون، في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية، كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازين وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله».[1]

فالتداولية تتيح للمتكلمين كيف ينجحون في إنجاز عباراتهم بوضع شروط لهذا الإنجاز، مع توضيح لأي من الجهات كان بها إنجاز الفعل (اجتماعية، نفسية، ثقافية...)، مع محاولة صوغ مبادئ لفعل الإنجاز المتداخل الجهات ومدى ملاءمة هذا الإنجاز لسياقه وبنيته الخطابية .

وتتمثل أهميتها في أنها تسهم بشكل بالغ الأهمية في تحليل اللغة عن طريق الإجراءات والبحوث التي لا يمكن الإغضاء عنها أو إغفالها، كما يقر بعض الباحثين بأن قضية التداولية هي إيجاد قوانين كلية للاستعمال اللغوي و التعرف على القدرات الإنسانية في التواصل اللغوي ما يجعلها جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي.[2]

يتّضح مما سبق أن التداولية لا شك تتداخل في جوانب مع بعض العلوم التي لها صلة باللغة من ذلك:

علم الدلالة: وهو يشترك معها في دراسة المعنى، وهناك من عد التداولية امتدادا للدرس الدلالي.[3]

---

[1] النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك،تر: عبد القادر قنيني،أفريقيا الشرق ،المغرب ،بيروت–لبنان،د–ط، 2000م،ص256.

[2] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص25.

[3] ينظر: عبد الحفيظ تحريشي، التداولية مفاهيم ومصطلحات، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، ع20، مارس 2012، ص190.

علم اللغة الاجتماعي: يتداخل مع التداولية في توضيح أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث مدار الحوار أو الكلام، وبيان رتبة وجنس المتكلم والسامع و أثر السياق الغير لغوي في الكلام .

علم اللغة النفسي: يشتركان في بيان أهمية قدرات المتكلمين في الأداء كالانتباه والذكاء والذاكرة..

تحليل الخطاب: يشترك مع التداولية في تحليل الحوار، كما يقتسمان عددا من المفاهيم الفلسفية واللغوية وكذا طرق توزيع المعلومات ومبادئ الحوار...[1]

من خلال هذا التداخل حدد بعض الدارسين ما تتميز به التداولية عن غيرها من البحوث اللغوية فهي:

- تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، كما أن موضوع بحثها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي.
- ليس لها موضوعات مترابطة ولا وحدات تحليل خاصة بها .
- تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية، اجتماعية، ثقافية).
- تمثل نقطة التقاء مجالات العلوم التي لها صلة باللغة.
- تدرس أربعة جوانب اتفق الباحثون عليها وهي: الإشارة، الإفتراض السابق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية.[2]

وخلاصة القول هي أن البحث في مجال استعمال اللغة متجذر في التراث العربي، وليس وليد الثقافة الغربية وحدها، والعلوم التي اهتمت باللغة وحفل بها هذا التراث شاهدة على ذلك، غير أن المقام لا يسع في هذا البحث لأن نسبر أغوار هذا الكنز اللغوي فحري بالباحثين أن يضعوا بحوثا مستقلة تعرض اهتمامات التداولية في مختلف العلوم العربية .

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة ،ص 10-11.

[2] ينظر:المرجع نفسه، ص14-15.

2/ الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

1. التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس:

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس (رائد الحركة الإصلاحية وزعيمها في الجزائر، و مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، وُلد في الخامس من ديسمبر سنة تسع وثمانين ثمانمائة وألف (1889م)، منتصف ربيع الثاني سنة 1308هـ بمدينة قسنطينة[1]، وهو الولد البكر لأبويه .

والده السيد محمد المصطفى بن الشيخ مكي بن باديس من حفظة القرآن الكريم، وأحد أعيان وأغنياء مدينة قسنطينة، و أمّه زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة عبد الجليل، التي عُرفت في قسنطينة بالعلم والجاه.[2]

حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ المداسي، وأتمّه في السنة الثالثة عشرة من عمره، وكان لشيخه أن قدّمه ليؤُمَّ الناس في صلاة التراويح في الجامع الكبير لثلاث مرات متوالية ؛لحسن سيرته وذكائه.

سافر إلى تونس في 1908م، والتحق بجامع الزيتونة ماكثاً به أربع سنوات، ينهل في رحابه علوم اللغة و الدّين، ويطالع أمّهات الكتب في شتّى العلوم، إلى أن حصل شرفه بأن تخرّج منه بشهادة التطويع (1912-1911م)، ثم درَّسَ به سنة، على عادة المتخرّجين قبل أن يرجع إلى وطنه، وكان تتلمذه على يد علماء وأساتذة أجلاّء فُضَلاء من بينهم :

الشيخ محمد النخلي أحد أعمدة النهضة بتونس .

العلاّمة محمد الطاهر بن عاشور المفسّر الجليل، الأصولي و المصلح الكبير.

---

[1] ورد في معجم(الأعلام) لخير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر ،بيروت-لبنان ،ط15 ،مايو/2002م ج3،ص289،أنه ولد في 1305هـ/1887م،وهذا التاريخ غير صحيح بالنظر إلى عديد المراجع والدراسات التي تناولته بالبحث.

[2] ينظر: الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي)،كمال أبو سنة ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط2 ،أفريل /2005م،ص07.

العلّامة الشيخ محمد لخضر بن الحسين الجزائري الأصل، شيخ الأزهر الشريف فيما بعد، وغيرهم كثير.[1]

و العلّامة ابن باديس مدرّس ماهر، ومربٍّ من الطراز الأول، عمل على تأسيس المدارس الابتدائية الحرة العربية على كافة أرجاء الوطن، كما دعا إلى تعليم المرأة الجزائرية، والعظيم من ذلك أنّه عمل على تنقية الدين من الأباطيل والبدع والخرافات، وهو حري بذلك بَيْدَ أنّه فقيه خبير بمذهب الإمام مالك ومتفقّه فيه.

من أبرز أعماله ختمه تفسير القرآن الكريم (سنة 1928م) وقد كان بدأه منذ سنين، وكان نتيجة هذا أن أُقيم حفل مهيب لهذا السّبب، بدأ في مدينة قسنطينة وانتهى في كل مدن الجزائر.

وهذا بحق عمل عظيم، كيف لا وهو صادر من ذات عرفَت حقّ كتاب الله، ودوره في إصلاح البلاد والعباد. يقول طاهر مكي مؤيّداً هذا: « كان مذهب الشيخ الإمام يقوم على محاولة إحياء القرآن الكريم في قلوب مسلمي الجزائر حتى يبعثهم إلى الحياة بدورهم، وإحياء القرآن يكون بتفسيره وفقاً لمنهج السّلف، وبذلك تُخلّص العقائد من الأوهام والأباطيل التي شوّهتها، وجعلت الدين يبدو في نظر كثير من المؤمنين كما لو كان مضاداً للعقل، وكان ملمّاً بأساليب المفسّرين لما يدخلونه من تأويلات جدلية مذهبية في كلام الله.»[2]

فقد كان هدف ابن باديس من هذا العمل(تفسير القرآن) هو بعث و إحياء القرآن الكريم في نفوس المسلمين الجزائريين، للتّخلّص من كل ما يشوب الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية من خرافات و أباطيل ؛ وبهذا يرجع للدين صفاؤه ونقاؤه الخالص بهما.

وهذا التفسير يعد أثراً ممتازاً لاستقلالية ابن باديس في فهم الآيات القرآنية، وملاءمته لروح العصر، وسيُفرَد له جزءٌ أكبر من هذا البحث لمحاولة بحثه.

من أبرز مؤلفاته:

---

[1] ينظر: آثار ابن باديس ،إعداد:عمارالطالبي ،الشركة الجزائرية ،الجزائر،ط3، 1417هـ/1997م،مج1،ص84-87.

[2] ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ،محمد بهي الدين سالم ،دار الشروق ،القاهرة ط1 ،1420هـ/1999م،ص37-38.

- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير .
- من الهدي النبوي .
- رجال السلف ونساؤه.
- عقيدة التوحيد من القرآن والسنة .
- أحسن القصص.
- رسالة في الأصول .
- مجموعة كبيرة من المقالات سياسية واجتماعية.
- مجموعة خطب و فتاوى .....[1]

عاش ابن باديس ذا مبدإٍ وفكرة، ومات ولم يَحِد عن فكرته، بل هتف: "فإذا هلكتُ فصيحتي تحيا الجزائر والعرب"، ضحّى ولم يُلقِ بالاً لصحّته ولم يتفرّغ لعلاج نفسه ؛فكان أن وافته المنية في الثامن من ربيع الأول سنة 1359هـ الموافق للسادس عشر أبريل 1940م، في مسقط رأسه، وحزنت الجزائر لرحيله حزناً شديداً، ورثاه الشعراء و الكتاب والعلماء.[2]

وخُلِّد اسمه في صفحات تاريخ الجزائر كواحد من أعظم أبنائها، والحق يُقال أنّ عدد هذه السّطور لا يكفي للتّعريف والإشادة برجلٍ أمة وقطبٍ مهيب من أقطاب الجزائر العزيزة، عاش للوطن والعروبة والإسلام ومات لذلك.

[1] ينظر: المرجع السابق،ص38.

[2]ينظر:الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،تركي رابح عمامرة ،منشورات ANEP،المؤسسة الوطنية للاتصال ،النشر ،الإشهار ،وحدة الطباعة الرويبة ،ط5 ،1422هـ/2001م،ص188-189.

2.التعريف بالتفسير: (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

لا يمكن لأي باحث اطَّلع على تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس، أن يمسك لسانه وقلمه للإشادة بهذا القليل العظيم مما ترك لنا عالِمُنا الجليل ؛ فهو ما كان قاصدا هذا، ولكنه كما قال : شُغِلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب.

وشُغله في ذلك هو تعليم جيل وتربية أمة ومكافحة أمية ومعالجة أمراض اجتماعية، وإضافة إلى كل هذا مجابهة مستعمر يؤيد هذه الأمراض ويسعى لاستفحالها .[1]

وهذا التفسير طبعاً كان عبارة عن مجالس تلقى فيها دروس التفسير، قبل أن ينبري إلى نشر عدد منها في مجلته الشهاب تحت هذا العنوان، ويتّضح أمر هذا الكتاب تحت العناوين الآتية:

تسمية الكتاب:

جاء في مقدمة كتاب تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، الذي اعتنى به وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن محمود، بقلم الإمام محمد البشير الإبراهيمي ما نصّه : «هذا هو العنوان الذي كان يضعه الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن بأديس رحمه الله لما يكتبه بقلمه البليغ في تفسير بعض الآيات القرآنية الجامعة.»[2]وهذا العنوان هو مجالس التذكير، كان الشيخ يجعلها فواتحاً لأعداد مجلّته الشهاب.و دامت هذه الفواتح من عدد كانون الثاني 1929م على عدد أيلول سنة 1939م، وزمن الحرب العالمية قريب من هذا .[3]

[1] ينظر: مقدمة تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،الإمام ابن باديس، بقلم: البشير الإبراهيمي، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب و القرآن الكريم، الجزائر ،ط 1، 1430هـ/2009م،مج1،ص12.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،الإمام ابن باديس، المصدر نفسه، ص15.

[3] ينظر :مقدمة مالك بن نبي ،آثارابن باديس ،إعداد: عمارالطالبي ،الشركة الجزائرية ،الجزائر،ط3، 1417هـ/1997م، مج1، ص12.

والملاحظ للفترة التي يمتد عمله التفسيري فيها، أنها توافق أو تعادل فترة نزول الوحي، بيد أنه شرع في تفسير القرآن تفسيراً شفوياً في مسجد قسنطينة ابتداءً من سنة 1913م، وختمه كلّه في خمس وعشرين سنة، أي إلى سنة 1938م.[1]

أمّا ما كان يُدونه من تفسير في بعض أعداد مجلته الشهاب فلم يُتمّه، وهو عبارة عن مجموعة دروس في تفسير آيات متسلسلة أو متفرقة من سور:

المائدة، يوسف، النحل، الإسراء، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، النمل، الأحزاب، يس، الذاريات، المعوّذتين، إضافة إلى تفسير موضوعي عن"العرب في القرآن"، والواضح من خلال التفسير أن اختياره للآيات القرآنية كان اختياراً مقصوداً لا محضَ صدفة .

وكان نتيجة ختمه تفسير كتاب الله، أن أُقيم له حفل يليق بمقامه العلمي وبإنجازه الضخم، أشرف عليه زميله البشير الإبراهيمي، ولم يَتَوانَ الشعراء والخطباء إلى التباري في مدح الشيخ والإشادة بأعظم إنجاز قدّمه للجزائر وأبنائها.

يقول البشير الإبراهيمي تحسّراً على عدم تدوين تفسير ابن باديس : «لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كنز علمٍ لا يُقوّم بمال، ولا يعوّض بحال، ومات فمات علمُ التفسير وماتت طريقة ابن باديس في التفسير، ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس...، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له كما أنها نموذج من أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي.»[2]

[1] ينظر :تفسير ابن باديس ،في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،عبد الحميد بن باديس ،جمع وترتيب توفيق محمد شاهين ،محمد الصالح رمضان ،تح: أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت– لبنان،ط2، 1424هـ/2003م،ص9.

[2] تقديم تفسير ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،تح: أبو عبد الرحمن محمود مج1،ص13.

غير أنه وإن ضاع وضاعت طريقة الإمام في التفسير، فهو لم ولن يؤثّر على مبدئه و عمله الذي كان همّه الأساس فيه تربية جيل قرآني، لذا اعتبر التدوين مشغلة له عن العمل المقدّم.

فآثر البدء بتفسير القرآن درساً تسمعه الجماهير، لتتعجّل بالاهتداء به.[1]

2/جمعه وأشهر طبعاته:

ظهر تفسير ابن باديس في عدة طبعات وأشكال منها:

أ/ما تصدى له كاتب المفسّر، وأمين سرّه أحمد بوشمال بتجريده من مجلة الشهاب، وطبعه في مطبعة الشهاب في حجم صغير عالي القدير.

ب/ما جمعه وأصدره محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين بعد الاستقلال (1964م)بإصدار دار الكتاب الجزائري، الجزائر.

ج/إصدار وزارة الشؤون الدينية، الجزائر في الثمانينات .[2]

د/نشرة دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1416هـ/1955م، علّق عليها و خرّج آياتها وأحاديثها أحمد شمس الدين.[3]

3/المصادر والمراجع التي اعتمدها الإمام في تفسيره:

يقول الشيخ في خطبة افتتاحه لدرس من الدروس التفسير عارضاً بذلك ما رجع إليه في تفسيره من كتب الأئمة:

«وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

---

[1] ينظر :تصدير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،عبد الحميد بن باديس،تح: أبو عبد الرحمن محمود ،المصدر السابق، ص12.

[2] ينظر :تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954م،أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1998م، ج1، ص12.

[3] الكتاب مطبوع و هو معتمد في البحث.

1/تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية و بأسلوبه التّرسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

2/تفسير الكشّاف(لجار الله الزمخشري)، الذي يمتاز بذوقه في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب و التنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام .

3/تفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط)الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات .

4/تفسير الرازي(مفاتيح الغيب) الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، كالذي يتعلّق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، و العلوم الكلامية ومقالات الفِرَق والمناظرة في ذلك والحجاج .

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام.

نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منّا.»[1]

ثناء أهل العلم والفضل عليه:

وأوّل هؤلاء صديقه وزميله المقرّب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (رحمه الله)، حيث يقول : «كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس (رحمه الله)ذوق خاص في فهم القرآن كأنّه حاسّة زائدة خصّ بها يرفده –بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقّادة، والبصيرة النافذة– بيان ناصع، واطّلاع واسعٌ، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه .يمد ذلك كلّه شجاعة الرأي، وشجاعة في القول لم يرزقهما إلاّ الأفذاذ المعدودون في البشر.»[2]

وقال عنه الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته"ختمت كتاب الله" بمناسبة ختم الإمام تفسير القرآن الكريم:

---

[1] آثار ابن باديس ،عمار الطالبي ،مج1،ص162–163.

[2] تفسير ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،الإمام ابن باديس ،مج1،ص11.

يَراعُــكَ فــي التّحريــر أمضــى مــن الظُّبــي وأقضـــى مـــن الأحكـــام أيَّـــان يُشـــهَرُ

ودرسُــكَ فــي التفســير أشــهى مــن الجَنــى وأبهـــى مـــن الـــرَّوضِ النَّضـــير وأبْهَـــرُ

خَتمـــــتَ كتـــــاب الله ختمـــــةَ دارسٍ بصـــيرٍ لـــه حـــلُّ العـــويصٍ مُيسَّـــرُ

فَكَـــم لـــكَ فـــي القـــرآنِ فهـــمٌ مُوفَّـــقٌ ; وكـــم لـــك فـــي القـــرآنِ قـــولُ مُحـــرَّرُ

قبســـتَ مـــن القـــرآنِ مِشـــعلَ حِكمَـــةٍ يُنـــارُ بـــهِ السِّـــرُّ اللَّطيـــفُ ويُبصَـــرُ

وبيَّنـــتَ بـــالقرآنِ فضـــلَ حضـــارةٍ أقَـــرَّ لهـــا كِســـرى وأَذعَـــنَ قَيْصَـــر[1]ُ

[1]ديوان محمد علي خليفة ،محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،وحدة الرغاية، الجزائر،(د-ط)،2010م،ص156.

الفصل الأول:

الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في

تفسير (في مجالس التذكير)

1.الأفعال الكلامية بين البحث الغربي والتراث العربي:

نتجت فكرة الفعل الكلامي في حضن الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، فمن خلال دراسة المعنى اقتضى ذلك تحليل ما يسمى بالأفعال الكلامية، والتي تعد من أهم النظريات التداولية التي مرت بمراحل حتى اكتملت ونضجت، من أهم هذه المراحل:

- مرحلة التأسيس ويمثلها جون أوستين.
- مرحلة النضج والضبط المنهجي مع جون روجرز سيرل.[1]

ويعتبر مفهوم الفعل الكلامي « نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري- و هو- يعد مشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires كالطلب والأمر والوعد والوعيد ...إلخ، وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما.»[2]

1/ **مرحلة التأسيس:**

ويعد أوستين المؤسس الأول للنظرية مفهوميا ومصطلحيا حسب ما تعرف به الآن في الفلسفة واللسانيات المعاصرة، انطلاقا من المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الإثني عشرة التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955ونشرت في 1962 بعد وفاته في كتاب تحت عنوان : How to do things with words .[3]

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص59.

[2] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 40.

[3] ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود نحلة ص60 .

وقد تأثر في تصوره للغة بفتجنشتاين الذي نبّه إلى أنّ اللغة قد تستخدم لوصف العالم كما أنّ هناك استعمالات أخرى لها لا تقع في دائرة الوصف مثل : الأمر، الاستفهام الشكر وغيرها، وقد سماها ألعاب اللغة، كما أرسى مبدءا مثيرا للبحث والجدل عند الفلاسفة وهو أن المعنى هو الاستعمال، ومن هنا تبعه أوستين في الرد على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين اعتبروا اللغة أداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، كما أن عمل اللغة هو وصف هذه الوقائع بعبارات إخبارية، ومن ثم يحكم عليها بالصدق أو الكذب حسب مطابقتها للواقع أو عدمه. فهو هدف إلى أن يثبت أن بجانب العبارات الوصفية عبارات أخرى تتشابه معها في التركيب، غير أنها لا تصف الواقع الخارجي ولا تحتمل الصدق أو الكذب، نحو : إذا قال رجل لآخر والشهود حضور: زوّجتك ابنتي، فقال قبلت فإن هذه العبارة إذا نطق بها لا تلقي قولا، بل تنجز فعلا .

ومن هنا ميز أوستين بين نوعين من الأفعال :

1- أفعال إخبارية : تتمثل مهمتها في وصف الظواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون، وتكمن خاصيتها في قبولها ثنائية الصدق والكذب.[1]

2- أفعال أدائية : هي الإنجاز الحقيقي لذلك الفعل الذي تصفه لغويا، وتظهر خاصيتها في أنها إما أن تكون موفقة أو فاشلة.[2]

والفارق بينهما أن الأفعال الأدائية لا توصف بالصدق ولا بالكذب وإنما تكون موفقة وغير موفقة حسب مراعاة المتكلم لشروط الأداء، وقد أطلق أوستين على هذه الشروط شروط الملاءمة وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية لكل نمط شرطين أخريين وهي على النحو الآتي:

---

[1] ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سورية، الإصدار الأول،2008،ص 76.

[2] ينظر: اللغة والفعل الكلامي والاتصال (مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين)، زيبيله كريمر،تر: د/ سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،2011،ص190-191.

أ/ 1- وجود إجراء عرفي مقبول، ذو اثر عرفي محدد بكلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة كالزواج مثلا.

2- مناسبة الأشخاص والملابسات لهذا الإجراء .

ب/ 1- أداء الإجراء من جميع المشاركين فيه أداء صحيحا .

2- أداء المشاركين للإجراء أداء كاملا تاما.

ج/ 1- امتلاك المشاركين لجميع الأفكار والمشاعر مع توفر القصد والنية في أنفسهم هم حتى يؤدى هذا الإجراء.

2- التوافق بين سلوك المشارك في الإجراء وما يصدر عنه من سلوك ظاهر.

وبهذا أوضح أوستين الفارق بين الشروط الأربعة الأولى في المجموعتين (أ – ب) والشرطين الأخيرين في المجموعة (ج)، ويتمثل في أن الشروط الأولى لازمة لأداء الفعل، أما الشرطين الأخيرين فإن الفعل بغيابها يؤدى غير أن أداءه يكون سيئا، فأطلق على مخالفة الشروط الأربعة الأولى مصطلح Misfires(الإخفاقات) لعدم توخي قصد النظم، ومصطلح Abuses(الإساءات) للقدح في صلاحية الاستعمال.[1]

وراح أوستين في مرحلة تالية يحاول تعديل تقسيماته و الشروط التي وضعها للتمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية بالتماس وسائل لغوية فلاحظ أن : « الإنشائيات تتأسس غالبا على أساس فعل(مضارع) مبني للمعلوم ومسند إلى ضمير المتكلم »[2]، غير أن هناك منطوقات تكون بين التقريرية والأدائية تبعا لملابسات الموقف والقرائن المحيطة به، وذلك من قبيل قول: الثور على وشك الهجوم، فالقول يحتمل التقرير إذا كان المتكلم يريد الإخبار، كما يحتمل أن يكون تحذيرا أو تنبيها.

[1] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ،كيف ننجز الأشياء بالكلام ،أوستين، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 1991، ص27-28، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص60-65.

[2] التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابرالحباشة، دارالحوار للنشر والتوزيع،سوريا- اللاذقية، 2007،ص56.

وتابع أوستين تقسيمه للأدائيات إلى: [1]

1- أدائيات أولية (ضمنية): وهي التي لا تحتوي على أفعال أدائية مثل: سأزورك غدا فهو يحتمل الوعد كما يحتمل الإخبار.

2- أدائيات ثانوية(صريحة): وهي التي تحتوي على فعل أدائي في صيغة المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المتكلم مثل: أعدك أن أزورك غدا.

غير أن هذا الشرط اعتبر فيما بعد غير كاف وغير ضروري لهذا النوع من الإنشائيات، فقد توجد إنشائيات صريحة و الفعل الإنشائي فيها يكون مبنيا للمجهول من قبيل: يُرجى من المسافرين التوجه للطائرة. وهي في الغالب أفعال الطلب والأمر التي تضعها سلطة غير شخصية أو جماعية، ثم من ناحية أخرى هناك أفعال إنشائية مثل: وعد تستعمل في المضارع مع فاعل مسند إلى ضمير المتكلم في أقوال تقريرية (إخبارية) كما في المثال: أعد بأن أكون هنا، حيث يفهم منه الإخبار.[2]

و برغم ما بذله أوستين من جهد في التمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية وبعد ما ظل يُرجع النظر في هذا التقسيم، إلا أنه في نهاية الأمر اتضح له عدم وجود حدود فاصلة واضحة تميز بين هذين النوعين، وعدم كفاية الشروط والوسائل التي وضعها لذلك، فعاد من حيث بدأ إلى السؤال: " كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟"[3]

ويعيد أوستين تنميط هذا الوصف لثلاثة أفعال تُنجز مع كل كلام، بل تُؤدى في الكلام الواحد بجوانب مختلفة وهي:

---

[1] ينظر: الإتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار،مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع،الإسكندرية، ط1، 2013،ص42.

[2] ينظر: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ص79.

[3] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص67.

أن تقول شيئا ويعني بذلك الفعل القولي(النطقي)، وأن تفعل شيئا ونحن نقول شيئا يتعلق بذلك يعني الفعل الإنجازي، وتأثر السامع بأن تقول شيئا هو وظيفة الفعل التأثيري.[1]

تختلف تسميات الدارسين لهذه الأفعال، وقد ارتأينا استعمال اصطلاحات الدكتور محمود نحلة لدقتها وسهولتها وهي:

1- الفعل اللفظي Locutionary act: هو ما يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محددا (المعنى الأصلي)ويحيل إلى مرجع .[2]

يظهر لنا من خلال التعريف أنّ المعنى شرط تحقق الفعل اللفظي، كونه مجموعة من الأصوات اللغوية المنتظمة في قالب نحوي صحيح يشير لمعنى واضح، كما يحيل إلى مرجع خارجي. وبهذا التعريف يرى أوستين أن الفعل اللفظي مركب من ثلاث عناصر يوضحها كما يلي:

- الفعل الفونطيقي(الصوتي): هو فعل التلفظ ببعض الأصوات المحمولة في الهواء.
- الفعل الكلامي: النطق ببعض الكلمات على أنحاء مخصوصة متصلة بمعجم ومرتبطة به على نحو ما، خاضعة لنظامه.
- الفعل الخطابي: هو كيفية تأدية الإنجاز باستعمال تلك الألفاظ، المرتبطة فيما بينها، المؤدية لمعنى محدد، المحيلة لمرجع معين.[3]

2-الفعل الإنجازي Illocutionary act: هو الفعل الأساس الذي من خلاله يتم الإنجاز، وهو المقصود في النظرية كلها لأن المتكلم حين ينطق قولا ما هو في الوقت نفسه ينجز فعلا. ويشترط أوستين لتحقق هذا الفعل ضرورة توفر السياق العرفي المؤسساتي سواء من حيث اللغة أو المحيط أو الأشخاص.[4]

---

[1] ينظر: اللغة والفعل الكلامي والاتصال (مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين)،زيبيله كريمر،تر: د/ سعيد حسن بحيري، ص192.

[2] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص45.

[3] ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، أوستين، تر: عبد القادر قنيني، ص116.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص18-27.

فكلّما تلفّظنا بفعل(الفعل اللفظي) في سياق استعمالي صحيح ومحدد نكون قد نجحنا في إنجاز فعل تتحدد وظيفيته حسب هذا السياق كأن نعد مثلا أو نتساءل...ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين الفعل اللفظي والإنجازي في كون الأول يتحقق بمجرد النطق بألفاظ وعبارات لغوية ذات دلالة تحيل إلى مرجع ما، أمّا الفعل الإنجازي فيكمن في تحقّق القوة الإنجازية المتمثلة في القصد التداولي الاستعمالي إما بالإخبار أو الاستفهام أو ما إلى ذلك.

ويقدم أوستين شروطا تكوينية تشكل بنية هذا الفعل تتمثل في[1]:

- تأدية المتكلم للفعل اللفظي وذلك باستعمال الفعل الخاص لكل قصد تعبيري، كالتهنئة مثلا تقتضي وجود فعل التهنئة في العبارة المنطوق بها.
- قصد المتكلم امتلاك القوة الإنجازية للفعل التعبيري(اللفظي)، لأنّ من خلالها يتّضح الغرض البلاغي الذي يقصد المتكلم إنجازه.
- يقتضي نجاح الفعل اللفظي تأكّد المتكلم من فهم المستمع لما يقصده من كلامه

ويوضح أوستين هذا الشرط في قوله: «إذا لم يسمع مخاطبي ما أخبرته به أو أنه لم يحمل كلامي محمل الجد وعلى وجهه لم يصح أن نقول أنّي قد حذّرته. وإذن لا بد أن يحدث أثر وتأثير ما على المخاطب حتى تتحقّق قوة فعل الكلام... وعلى ذلك فإن إنجاز قوة فعل الكلام يتضمّن الوصول إلى سكون النفس واطمئنانها إلى حسن الفهم وتصوّر الغرض. »[2]

- عرفية هذا الفعل والمواضعة عليه، فهو حسب رأيه فعل يؤدى وينجز طبقا للتواضع أو بعبارة أخرى (أفعالنا هي تصرفاتنا).[3]

---

[1] ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،صلاح اسماعيل عبدالحق،دارالتنويرللطباعة والنشر،بيروت–لبنان،ط1، 1993، ص195– 201.

[2] نظرية أفعال الكلام العامة ،كيف ننجز الأشياء بالكلمات، أوستين، ص135.

[3] ينظر: المرجع نفسه ص125–127.

3- الفعل التأثيري Perlocutionary act: ويقصد به« الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي »[1]، أي تأثير المتكلم بقوله في السامع، وهو دائما يتضمن بعض النتائج قد يكون بعضها غير مراد أو مقصود.[2]

ونمثل لذلك بالمثال الآتي: " أُخرج من هنا ".

فالفعل اللفظي (الصوتي) هو التلفظ بالمفردات المنتمية لمعجم ما، الخاضعة لقواعد لغة ما، والتي باستعمالها تبلغ معنى ينتج من العبارة والمرجع الذي تحيل إليه في آن واحد.

أما الفعل الإنجازي فيتمثل في القوة الإنجازية التي تنتج من خلال الفعل اللفظي وهي "أمرني"أو "نصحني"...بأن أخرج من هنا.

يظهر الفعل التأثيري فيما ينتج عن الفعل الإنجازي من أثر لدى المتلقي من إقناع ممثلا في أن أخرج من هنا.

ومن هنا يتعلق الأمر بالفعل الذي نحققه بواسطة تلفظنا بشيء ما، وكذا تحقيقنا للفعل الإنجازي، ثم في الأخير ما يترتب عن هذا الفعل من أثر عند المتلقي سواء من حيث أفكاره ومشاعره وسلوكه، فإحداث التأثير بالقول هو المقصود من وراء الفعل التأثيري.

لقد تفطن أوستين إلى أن الفعل اللفظي ينعقد الكلام به، ولا يلازم الفعل التأثيري جميع الأفعال، لأن منها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب، ومن هنا كان الفعل الإنجازي هو أهم الأفعال حسب نظره، فوجه إليه جل اهتمامه إلى أن أصبحت هذه النظرية تُعرف به فأُطلق عليها النظرية الإنجازية أو نظرية الفعل الإنجازي.

ويرتبط الفعل الإنجازي عند أوستين بمقصد المتكلم، لذلك يجب على المخاطَب أن يبذل جهده للوصول إليه، لأن مقصد المتكلم الذي يعبر عنه بالإنجاز يحتل مركزا جوهريا في هذه النظرية .[3]

---

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص46.

[2] ينظر: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، أوستين ص 127.

[3] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص69.

لقد قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية، ويعتبر هذا العمل الإسهام الرابع في مجال هذه النظرية، فقد جعله موضوعا لمحاضرته الثانية عشرة الأخيرة في جامعة هارفرد، وجاء موضوعها في ختام كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، وقد قدّم خمسة أصناف للملفوظ أو الفعل الإنجازي، طبقا للغرض الذي أنجزت من أجله الأفعال، وتتمثل حسب ترجمة د/ محمود نحلة في ما يلي: [1]

1- أفعال الأحكامVerdictives: تشير دلالة المصطلح إلى هذا الفعل يكون ناتجا عن إصدار حكم في المحكمة، سواء كان هذا الحكم من هيأة قضائية أو من محكم تختاره الأطراف، وليس من الضرورة أن تكون الأحكام نافذة أو نهائية، أي يمكن أن تكون تقديرية أو ظنية أو أن تكون في صورة رأي أو عبارة عن تقييم، ومهما يكن فإن الأمر يتعلق بإصدار حكم حول شيء ما سواء كان واقعيا أو قيمة .

2- أفعال القرارات Exercitives: تتعلق هذه الأفعال بممارسات السلطة والقانون والنفوذ، ومن أمثلة ذلك التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها...وهي من مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يختار، يوصي، يحذر...

3- أفعال التعهد Commissives: وتتمثل في الأفعال التي تلزم المتكلم أن يفعل شيئا ما، كإعطاء الوعد أو التكفل أو الضمان ...، ويندرج في هذا الباب التصريح وإعلان النية والقصد، والتي هي من باب الوعد، ومن أمثلتها: أعد، أتعهد، أقسم على، أضمن، أتعاقد على...

4- أفعال السلوك Behabitives: هي الأفعال الخاصة بالأوضاع السلوكية التي لا تخرج عن الأعراف المجتمعية وأمثلتها الاعتذارات، والتهاني، التعازي ...

[1] ينظر: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، أوستين، ص174-187. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، 69-70.

5- أفعال الإيضاح Expositives: وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر، أو الرأي وذكر الحجة مثل: الإثبات، والإنكار، والمطابقة، والملاحظة والتنويه، والإجابة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، و الموافقة، والتصويب.

يتّضح في الأخير أهمية ما قدمه أوستين من خلال المسائل التي أثارها في مجال هذه النظرية وهي وإن كانت جزئية إلا أنها فتحت الباب لزملائه وتلاميذه للتطوير فيها وتعديلها وإضافة ما غفل عنه في بحثه هذا، وسنلاحظ فيما يأتي بأن كل إسهام قام به له أهميته، إذ يعتبر المنطلق والمرتكز لما أتى من بحوث تالية خاصة جهود سيرل.

وعلى سبيل المثال نبّه أوستين إلى تحول في التفكير الفلسفي تجاه اللغة واستعمالاتها، و أدخل في صميم البحث اللغوي الاهتمام بوظيفة من وظائف اللغة لم يكن يُلتفت إليها كثيرا، كما أكد ضرورة الاعتماد على السياق والموقف الاتصالي في البحث الدلالي بصورة أفضل من سابقيه، وربط التحليل اللغوي بالاستعمال لا ببنية اللغة.[1]

وتظهر أهمية ما كان يسعى أوستين إليه حسب نظر بعض العلماء، حيث حدّد د/ محمود نحلة أهم ما قام به ويتمثل في ما يلي[2]:

- تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل.
- تمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها.
- تمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأوّلى منها.
- تحديده للفعل الإنجازي الذي يعدّ مفهوما محوريا في هذه النظرية.

2/ مرحلة النضج والاكتمال:

[1] ينظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة(دراسة دلالية ومعجم سياقي)، د/ علي محمود حجي الصراف، دار الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص50.

[2] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص71.

ورائد هذه المرحلة هو جون سيرل، الذي يحتل موقع الصدارة بين أتباع أوستين ومريديه؛ ذلك أنه تناول النظرية كما عرفت عند أوستين وطوّر فيها، [1] كما أسهم بشكل واضح فيها خاصة التعديلات والإضافات التي قدمها، وضبط

وإحكام عام للنظرية، لهذا وصفت هذه المرحلة بالمرحلة الأساسية التالية لمرحلة الانطلاق مع الرائد الأول جون أوستين.[2]

ويتمثل إسهامه الرئيسي في تمييزه على مستوى الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول(أطلق عليه واسم القوة المتضمنة في القول)، وما يتصل بمضمون العمل (وأطلق عليه واسم المحتوى القضوي)؛ ففي قولنا في جملة: أعدك أن أزورك غدا. فإن الفعل (أعد) هو واسم القوة المتضمنة في القول أما (أزورك غدا) هو واسم المحتوى القضوي، وعليه فإن للمتكلم نية قصد في زيارة مخاطبه يوم غد، ومن ثم أنتج هذه الجملة تحقيقا لهذه النية، ثم إن السامع (المخاطَب) على معرفة بالقواعد المتحكمة في معنى العبارات التي يتكلّمها كل منهما .[3]

ويمكن إجمال أهم ما حققه سيرل في هذه النظرية والربط بينه وبين ما أنجزه أوستين حتى تتضح معالم النظرية في تمامها:

1- النص على الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي:

يعتبر الفعل الكلامي في نظر جون سيرل أصغر وحدة للاتصال الإنساني، يمارس بها المتكلم فعلا تُجاه سامع. وهو يتكون من مكونين: محتوى قضوي، و وظيفة إنجازية، حيث تتعلق الوظيفة الإنجازية بالدور، أي بما يقصد المتكلم من أن يفعل بنطق جملة ما في موقف معين، سواء كان ذلك تقريرا أو أمرا أو سؤالا أو وعدا.[4]

---

[1] ينظر: التداولية اليوم علم جديد للتواصل،آن ريبول- جاك موشلار، ،ص 33.

[2] ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود نحلة، ص 47.

[3] ينظر:التداولية اليوم علم جديد للتواصل، آن ريبول- جاك موشلار، ص33-34.

[4] ينظر: اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زيبيله كريمر، تر: د/ سعيد حسن بحيري، ص89.

وبناء على ما سبق يتضح أن سيرل أشار إلى الوحدة الأساسية في التحليل التداولي المتضمنة لمجموعة من الخصائص المتكاملة (صوتية، صرفية، معجمية، ...) المشاركة كلها في التعبير عن الفعل الإنجازي، وبهذا يتضح اهتمام التداولية بالكلام كونه أداء واستعمال للغة في الاتصال.

كما سعى سيرل إلى تعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية، وجعله أربعة أقسام، أبقى على القسم الإنجازي والتأثيري، وجعل الفعل اللفظي قسمين هما: الفعل النطقي والفعل القضوي وفيما يلي توضيح لهذين القسمين:

أ-الفعل النطقي utterence act: ويتمثل في النطق الصوتي للألفاظ غلى نسق نحوي ومعجمي صحيح.

ب-الفعل القضوي propositional act: وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، وهو لا يقع وحده، بل يستخدم دائما مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركّب؛ لأن المتكلم لا ينطق بفعل قضوي دون مقصد ما.

لا يعتبر الفعل التأثيري ذا أهمية عند سيرل لأنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما، بَيد أن للقوة الإنجازية دليلا يتضح من خلاله نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه الجملة، وهو في اللغة الإنجليزية يتمثل في: نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة، وصيغ الفعل، والأفعال الأدائية.[1]

2 -توسيع دائرة الفعل الكلامي:

لا يقتصر الفعل الكلامي عند سيرل على مراد المتكلم فقط وإنما هو مرتبط أيضا بما يسمى بالعرف اللغوي والاجتماعي، وقد ظهر هذا عند أوستين في مجموعة شروط نجاح الفعل الأدائي، حيث يظهر اهتمامه بالعرف اللغوي في الشرط الأول في جزء منه (أ-

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود نحلة، ص47-73.

1)والشرط الثالث كله (ب-1). أما العرف الاجتماعي فيفهم من الشرط الثاني(أ-2). ومن هنا نص سيرل نصا صريحا على الجانب اللغوي والاجتماعي كونه في نظره من مشتملات الفعل الكلامي.[1]

وبهذا فالسبق للإشارة بأهمية الجانب اللغوي والاجتماعي لجون أوستين، ولا ينكر أحد اعتماد سيرل عليه، غير أنه(سيرل) صرّح بشكل آخر ربما بناء على مقدمات بعدّ هذا الجانب من خصيصات الفعل الكلامي.

3- **تطوير شروط الملاءمة المعروفة عند أوستين:**

سعى سيل إلى تطوير تلك الشروط التي اعتبر أوستين أن الفعل الإنجازي لا يتحقق نجاحه إلا بها، وذلك ليتجاوز القصور الذي عرفه من خلالها وتعتبر هذه الخطوة مثالية وذات أهمية في نظرية الفعل الكلامي، وهذه الشروط هي[2]:

أ-شروط المحتوى القضوي: وهو ما يلزم المتكلم التعبير إنجازيا عن قضية ما، ويتحقق هذا الشرط بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى قضية proposition) التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع Référence، ومتحدث به أو خبر Prédication والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، ويتحقق هذا الشرط مثلا في فعل الوعد إذا كان دالا على حدث مستقبلا يلزم المتكلم نفسه به.

ب-الشرط التمهيديPreparatory: يتعلق هذا الشرط بقدرة المتكلم على إنجاز الفعل، وليس من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطَب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى الاعتيادي للأحداث أو لا ينجز.

ج- شرط الإخلاص Sincerity: يتم هذا الشرط حين يكون للمتكلم إخلاص في أداء الفعل، من حيث الاعتقاد والاستطاعة أيضا.

[1] ينظر :في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، د/ علي محمود حجي الصراف، ص 52.

[2] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص 48-49.

د-الشرط الأساسي Essential: ويتحقق بمحاولة المتكلم التأثير في السامع لإنجاز الفعل.فالمتكلم يلزم بتلفظه بالفعل السامع لإنجاز الفعل مناط التلفظ.

من هذه الشروط يتضح أن سيرل جعل من خلالها التمييز بين مختلف الأفعال الكلامية بسهولة ويسر.

4- **تصنيف الأفعال الكلامية:** قام سيرل بتصنيف الأفعال الكلامية وفقا لثلاث أسس منهجية تتمثل في:

أ- الغرض الإنجازي Illocutionary point.

ب- اتجاه المطابقة Direction of fit.

ج- شرط الإخلاص Sincerity condition.[1]

وبهذا جعلها خمسة أصناف وهي[2]:

***1*- الإخباريات assertives:** وفيها يأخذ المتكلم بدرجات مختلفة بأن شيئا ما هو الحال، وهنا يكمن الغرض الإنجازي للفعل الكلامي في هذا القسم، كما يدخل في هذا القسم كل الأفعال الكلامية التي يحكم عليها بالصدق أو الكذب حسب مطابقتها للواقع، ويكون الموقف النفسي(شرط الإخلاص) المعبر عنه بالإخباريات هو الظن بأن القضية المعبر عنها صادقة، وهي تضم: التقرير، الزعم، الوصف، التنبؤ...

***2*- التوجيهات directives:** ويكمن الغرض الإنجازي من خلالها محاولة المتكلم- إذا أنجز فعلا كلاميا- تحريك سامعه لتنفيذ فعل معين، ومن هنا يتضح شرط الإخلاص في رغبة المتكلم أن يستطيع المخاطَب تنفيذ فعل ما، أما شرط المطابقة فيحدد بين الكلمات والوقائع، حيث ينبغي أن تغيّر(الوقائع) بحيث تطابق الكلمات، ومن أمثلتها: الأمر، النصح، السؤال، الطلب...

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص49.

[2] ينظر: مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، جوتس هنده لانج، تر: د/سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة، ط1،2012م،ص85-92.

***3*- الالتزاميات commissives:** هي تلك الأفعال الإنجازية التي يكمن غرضها في أن يلزم المتكلم نفسه بفعل مستقبليا، ويتعلق شرط الإخلاص بقصد المتكلم – من خلال تعبيره بهذا الفعل الإنجازي- تنفيذ الفعل الكلامي أو تركه، ويكون اتجاه المطابقة بين الكلمات والوقائع، حيث ينبغي للمتكلم أن يحدث هو التغيير في هذه الوقائع خلافا للتوجيهيات، ويدخل ضمن هذه الأفعال: الوعد، التهديد، القسم، الرهان...

***4*- التعبيريات expressives:** يتمثل الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية في هذا القسم من تعبير المتكلم عن موقفه النفسي من قضية ما، وبهذا يتوافق إنجاز المتكلم للفعل مع أحواله الداخلية، غير أنه في هذا القسم لا يوجد اتجاه مطابقة بين الكلمات والوقائع، لأن التعبير عنها يفترض سابقا أو يشترط بداهة مع هذه الأفعال الكلامية. ومن أمثلة هذه الأفعال: الاعتذار، الشكر، التهنئة، التحية، الشكوى...

***5*- الإعلانياتdéclarations:** وتتمثل سمة أفعال هذا القسم في أن الإنجاز الموفق لها يكون بمطابقة محتواها القضوي للواقع، أي من خلالها يعلم المتكلم ما ينبغي أن تكون الحال في إطار مؤسسي معين، وتظهر هذه الأفعال في: الزواج، التعيين، إعلان الحرب ...

يلخّص سيرل في استنتاج من استنتاجاته، أنه باعتبار هدف الخطاب المفهوم المحوري لتصنيف استعمالات اللغة، فإنه سيوجد لدينا عدد لا محدود من الأشياء الأساسية التي نفعلها باللغة؛ إذ إننا نخبر الناس عن كيفية الأشياء، ونحاول التأثير عليهم لفعل أشياء معينة، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات معينة بملفوظاتنا. وغالبا ما نفعل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفظ واحد.[1]

[1] ينظر:العقل واللغة والمجتمع(الفلسفة في العالم الواقع)، جون سيرل،تر:سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2006م،ص 221-222. وانظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان،ط1، 2004م،ص158.

فسيرل في هذا الاستنتاج يشير إلى التصنيفات التي جاء بها، مرتكزا بذلك على مبدأ هو هدف الخطاب.

6- التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و الأفعال الإنجازية غير المباشرة[1]:

خطا سيرل هذه الخطوة انطلاقا من تمييز أوستين بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأفعال الإنجازية الأولية، فسعى هو للتمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة وفي ما يلي توضيح لهذا التمييز:

أولا: الأفعال الإنجازية المباشرة:

وهي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، بحيث يكون ما يقوله مطابقا مطابقة تامة لما يعنيه أو يقوله، وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع الوصول إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين.

ثانيا: الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

هي الأفعال التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، بحيث يؤدى الفعل الإنجازي بشكل غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، ونوضح هذا بالمثال التالي: قول تلميذ لآخر وهما في قاعة الدرس. هل تناولني القلم الأحمر؟ فإن هذا الفعل معناه الحرفي هو الاستفهام بالدليل الإنجازي(هل)، غير أن الاستفهام غير مراد المتكلم هنا، بحيث لا ينتظر من السامع جوابا ببلى أو العكس، بل مراده أن يطلب من زميله طلبا مهذّبا (أن يناوله القلم الأحمر). وبهذا يظهر أن الفعل الإنجازي غير المباشر تخالف قوته الإنجازية مراد المتكلم، ثم إن التنغيم يختلف باختلاف القوة الإنجازية حرفية كانت أو غير حرفية.

يوضّح سيرل من هذا المنطلق الفرق بين القصد والقول؛ فيمكن تحويل القول المنطوق إلى الفعل الكلامي المقصود الذي يؤدي إلى تحديد المنطوق المحدّد بأنه عنصر لقسم فعل كلامي معدول عن مؤشراته الإنجازية، يتم بمساعدة تلك المجموعة من الشروط

[1] ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود نحلة، ص50 -82.

والقواعد التي أسّسها(سيرل) بوصفها آلة قاعدية خاصة بنظرية الفعل الكلامي، وعلى هذا النحو يمكن فهم "هل تناولني الملح" على أنه وجه طلب، ويمكن معرفة أن المنطوق يذكر الشرط التمهيدي لفعل كلامي توجيهي. وبهذا فالفعل الكلامي غير المباشر ليس ما يُقال حقيقة، بل ما يستعمل في المنطوق المفرد، ولهذا ليس فهم المعنى للأفعال الكلامية بالنسبة لسيرل تفسيرا، بل عملية معرفية بموجبها يجب أن ننتهي من منطوق محدّد موقفيا من ناحية مكانية وزمانية إلى الفعل الكلامي الذي يعدّ أساسا لهذا المنطوق، لأن المنطوقات ليست أفعالا بل تنجزها.[1]

سعى سيرل لمناقشة عدد كبير من الأفعال الإنجازية غير المباشرة خاصة تلك التي تكون استفهاما مقصودا به الطلب، ولاحظ أن أهم البواعث إلى استخدامها هو مبدأ التأدب في الحديث، ثم اختار التوجيهيات غير المباشرة كنموذج وقسمها إلى مجموعات حسب قدرة السامع على أداء الفعل ورغبته فيه، والبواعث إليه، ورغبة المتكلم أن يؤدي السامع فعلا ما أو استجابة السامع له.

وبهذا قرّر أنّ المتكلم لا يقصد ما يقول وحسب، بل يتعدى قصده إلى ما هو أكثر مما قاله؛ لأن هذه الأفعال تدل هيئتها التركيبية على زيادة معنى المتكلم، والمشكل في هذا النوع من الأفعال يكمن في: كيف يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ من هذا المنطلق حاول سيرل حل الإشكال بما أسماه (مبدأ التعاون الحواري) بين المتكلم والسامع وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع، ثم بما أسماه (استراتيجية الاستنتاج) عند السامع، والتي تمكّنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر.

توصّل بعض الباحثين من خلال هذا إلى وضع ضوابط للتمييز بين هذين القسمين من الأفعال الإنجازي (مباشرة وغير مباشرة)، بتحديد ثلاث فوارق هي كالآتي:

[1] ينظر: اللغة والفعل الكلامي والاتصال،زيبيله كريمر،تر: سعيد بحيري، ص 101-102.

1- القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فقوّتها الإنجازية لا تظهر إلاّ في المقام لأنّها متّصلة به.

2- جواز إلغاء القوة الإنجازية في الأفعال غير المباشرة، ففي المثال: هل نخرج إلى الحديقة؟ نستطيع إلغاء قصد الطلب(قوة إنجازية غير مباشرة) والاقتصار فقط على قوة الفعل المباشرة وهي "الاستفهام".

3- لا يمكن الوصول إلى القوة الإنجازية غير المباشرة إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، على عكس القوة الإنجازية المباشرة التي يُتوصل إليها من تركيب العبارة مباشرة.

هذا بشكل عام عن مجمل ما جاء في نظرية الفعل الكلامي عند أبرز الباحثين الغرب، ولا يكفي المقام لإيراد مختلف الرواد في هذا المجال لاختلاف الرؤى والمناهج وحتى الأفكار، ولا يعني هذا إغفال جهة مهمة في هذا المجال ألا وهي تراثنا العربي . فكيف تُعرف هذه النظرية في تراثنا؟ ومن هم العلماء الذين برزوا في بحثها؟ وما هي أهم النتائج التي أسفرت عنها؟ وما مكانة هذه البحوث في سلم البحث في هذا المجال؟ وما هي نقاط الالتقاء والاختلاف بين الجهتين؟[1]

2.نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي:

لقد اشتغل ببحث ظاهرة الأفعال الكلامية في تراثنا العربي مجموعة من العلماء تختلف تخصصاتهم العلمية بين فلاسفة وبلاغيين ونحاة وعلماء أصول الفقه...، غير أننا في هذا الجزء سنركز على ما يتصل بموضوعنا في الإطار اللغوي وحسب.

تندرج هذه الظاهرة في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني وتحديدا ضمن ظاهرة الخبر و الإنشاء، حيث يتحدد موضوع هذا العلم في « تتبع خواص تراكيب الكلام في

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 102.

الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره... وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه على الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له.»[1]

وبهذا يتضّح مدى الوعي بأهمية البعد التداولي للظاهرة اللغوية التواصلية، حيث إن السكاكي هنا يخصص الدراسة ويجعلها مقتصرة فقط على التراكيب ذات الدلالة المفيدة، أما التراكيب غير التامة فهي مستبعدة من دائرة تحليل العلماء في هذا الحقل، لأنها ألفاظ مفردة غير مفيدة، ولأن هوية الأفعال الكلامية وإنجازيتها لا تتحقق ولا يتحدد مجالها الدلالي والتداولي إلا في السياق الكلامي وسياق الحال وقصدية المتكلم، لاعتبارها أكبر القرائن المساعدة على فهم الغرض من الكلام ودلالته.[2]

من هنا كان اهتمام العلماء العرب (خاصة البلاغيين) المركز حول دراسة الإسناد، أي النسق الذي يأتي عليه المسند والمسند إليه، تحت عنوان هو شديد الصلة بالنحو، كما يعتبر جزءا منه وسموه بـ : أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه.

1-التمييز بين الخبر والإنشاء:

لقد اعتنى النحاة والبلاغيون في تراثنا العربي بالتفريق بين الخبر والإنشاء سواء من حيث الطريقة التي تبنى بها الجملة أو ما تتضمنه من عناصر كلامية وصيغ ...، وقد استخلص الدكتور مسعود صحراوي تصورا يؤلف بين تلك الرؤى التعريفية للخبر والإنشاء؛ فالخبر: « هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية." والإنشاء " هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية.»[3]

يتّضح من هذا المنطلق الفرق بين الخبر والإنشاء في كون:

---

[1] مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط2 1407 هـ - 1987 م، ص 161.

[2] ينظر:التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص81 -82.

- المتكلم في الإنشاء يريد أن يوجد نسبة خارجية.
- المتكلم في الخبر يريد من كلامه أن يطابق نسبته الخارجية، فإن حصل التطابق كان الصدق، وإن حصل العكس كان الكذب، وهذا ما يُنتفى في الإنشاء.

غير أن كلا من الخبر والإنشاء يعتبر من قبيل الكلام المفيد، وأن قصدية المتكلم لها دور مهم في تحديد دلالة الكلام.

اعتمد علماؤنا العرب مجموعة من المعايير كان القصد من ورائها التمييز بين الخبر والإنشاء منها على وجه العموم[1]:

- معيار (قبول الصدق أو الكذب): إذ كان هذا المعيار محل إجماع العلماء. فالخبر هو ما احتمل الصدق أو الكذب، والإنشاء هو ما لا يقبل لا الصدق ولا الكذب.
- معيار (مطابقة النسبة الخارجية): بهذا المعيار يكون الخبر الكلام التام المفيد، أو الخطاب التواصلي الذي يوجد لنسبته الكلامية نسبة خارجية، والإنشاء ما لا نسبة له.
- معيار (إيجاد النسبة الخارجية): فما تم من الكلام وأمكن السكوت عليه، بحيث يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على حصول تلك النسبة في الواقع (بين معنى المسند والمسند إليه)؛ فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه الدلالة على أن اللفظ وُجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء.
- معيار (قصد المتكلم): اعتبر علماؤنا قصد المتكلم قرينة مساعدة، فإذا كان قصد المتكلم الإخبار بكلامه كان الكلام خبرا، أما إذا انضمّ إلى اللفظ قصد إيجاد النسبة الخارجية فذاك إنشاء.
- معيار (عدد النسب): وبهذا المعيار يكون الخبر ثلاث نسب: – نسبة كلامية، – نسبة ذهنية، – نسبة خارجية. أما الإنشاء فله نسبتان: نسبة كلامية، ونسبة ذهنية.

[1] ينظر: البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة،ص 101–102. التداولية عند العلماء العرب،ص 58–80.

2-تقسيمات الخبر والإنشاء:

لم يكتف العلماء العرب بتقسيم الكلام المفيد إلى قسميه الكبيرين (الخبر و الإنشاء)، بل راحوا يجعلون لكل منهما أقساما فرعية تفصيلية، وفيما يلي توضيح لهذا التقسيم الذي أورده د/ مسعود صحراوي [1]:

أ- **الخبر:**

تباينت حول تقسيماته آراء العلماء ورؤاهم، بين رؤى تداولية و رؤى تجريدية، غير أننا سنورد ما له علاقة بمجال بحثنا فقط من ذلك:

1 – تقسيم الجاحظ: وقد أورده التفتازاني، والرسم الآتي يوضح هذا التقسيم:

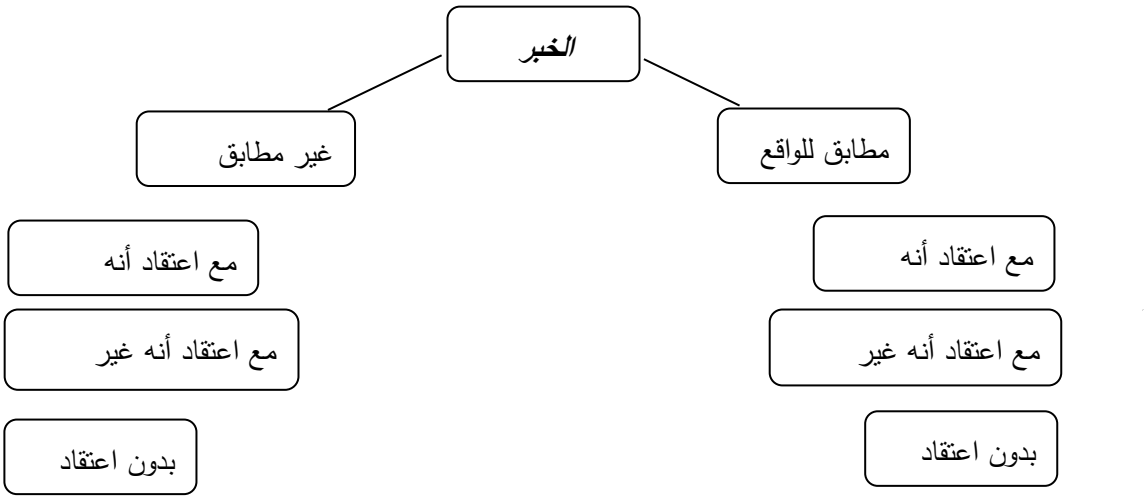

يعتبر هذا التقسيم تقسيما تداوليا؛ ذلك أنه يعتمد معيار (اعتقاد المتكلم وقصده)، والجاحظ هنا يحتكم إلى معيارين في الحكم على الخبر صادقا أو كاذبا و هما:

- مطابقة الواقع - اعتقاد المخبر(قصده)

فالخبر الصادق في نظره هو الذي يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد صاحبه أنه مطابق، أما الكاذب فهو الذي لا يطابق الواقع مع اعتقاد صاحبه أنه غير مطابق.

والأنواع الأربعة الأخرى فهي لا توصف بالصدق ولا بالكذب فتكون إما:

[1] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص92- 104.

- مطابقة للواقع مع اعتقاد المتكلم أنها غير مطابقة .
- مطابقة للواقع دون اعتقاد المتكلم.
- غير مطابقة للواقع مع اعتقاد المتكلم أنها مطابقة.
- غير مطابقة دون اعتقاد المتكلم.

والقسم الثالث من الأخبار(التي لا توصف بالصدق ولا بالكذب) القسم الذي خالف به الجاحظ جمهور العلماء والبلاغيين، حيث نشأ عن اعتماده معيارا تداوليا كما أسلفنا. وعمل الجاحظ هنا يشبه ما قام به أوستين حين جعل شرط "الصراحة "معيارا من معايير القوة المتضمنة في القول لإثبات هويتها الإنجازية.

2-تقسيم أبي العباس اللغوي:

وهو تقسيم تداولي قوي، يقوم على ملاحظة مقتضى الحال، أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع تجاه ما يُخبَر به، واضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرف فيه حتى يلائم حال السامع ويؤدي وظيفته التواصلية الإبلاغية، وقد أوضح هذا التقسيم للفيلسوف الكندي في قصة مشهورة ملخصها كالآتي:

أن الكندي قال لأبي العباس:[1]« إني لأجد في كلام العرب حشوا. فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: "عبد الله قائم"، ثم يقولون: " إن عبد الله قائم"، ثم يقولون: "إن عبد الله لقائم"، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: " عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم: " إن عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إن عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني. قال فما أحار المتفلسف جوابا.»[2]

فتبعا لاختلاف حال السامع ومراعاة المتكلم لتلك الحال، تتشعب العبارة إلى ثلاث عبارات هي:

---

[1] يرجّح أنه المبرد.

[2] ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني،ص 315.

أ- عبد الله قائم ب- إن عبد الله قائم ج- إن عبد الله لقائم

ف (أ) إخبار عن قيام و (ب) جواب سؤال سائل و (ج) رد على إنكار منكر.

تلقى اللغويون العرب إيضاح المبرد بالقبول والتسليم، كما زادوا على ذلك أن وضعوا اسما لكل ضرب من هذه الأخبار، فأطلقوا على الأول: الخبر الابتدائي وعلى الثاني: الخبر الطلبي وعلى الثالث: الخبر الإنكاري أو الضرب الابتدائي والضرب الطلبي والضرب الإنكاري.

1- الضرب الابتدائي: هو الخبر الذي يلقى إلى من هو خال الذهن من الأحكام سواء بالإثبات أو النفي، وهذه الجملة حسب نظر السكاكي تستغني عن مؤكدات الحكم.

2- الضرب الطلبي: هو الخبر الذي يلقى لذهن طالب الحكم المتحيِّر فيه، وليزول تردّده وشكه وريبته يستحسن أن تُقوّى الجملة بأحد أدوات التوكيد يقول السكاكي:«وإذا ألقاها على طالب لها(الجملة الخبرية) متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة، أو إن كنحو: لزيد عارف أو إن عارفٌ(أي زيدا).»[1]

3- الضرب الإنكاري: وهو الخبر الذي يلقيه المتكلم، إلى المنكر التام للحكم الذي يتضمنه فعل الإخبار، لذلك يحتاج المتكلم إلى أن يؤكد الخطاب بأكثر من مؤكد، ويوضح السكاكي هذا بقوله: « وإذا ألقاها(الجملة الخبرية) على حاكم فيها بخلافه ليرده على حكم نفسه استوجب حكمه ليرجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: إني صادق لمن ينكر صدقك إنكارا و إني لصادق لمن يبالغ في إنكار صدقك و والله إني لصادق على هذا».[2]

[1] مفتاح العلوم، السكاكي،ص170.

[2] ينظر ، المرجع نفسه ،ص 171.

نستنتج بهذا أنّ المقام هو من يوجب تأكيد الكلام في هذا الضرب من الخبر.

إذا عقدنا مقارنة بين هذه الضروب ومعايير سيرل فيكمن الفارق بينهما في ما أسماه" درجة الشدة للغرض المتضمن في القول"؛ فقد لاحظ سيرل أن جملتين قد تتشابهان في الغرض المتضمن في القول غير أنهما تختلفان في درجة الشدة، ومن ثم تتفاوتان إنجازيا.[1]

ب- الإنشاء:

يرجع مفهوم الإنشاء عند العرب إلى معنى الطلب، ويعتبره السكاكي أنه ما: « يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب ...، وهو نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول...، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول.»[2]

يرى الخطيب القزويني صاحب (الإيضاح في علوم البلاغة) أن الإنشاء ضربان: « طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل.»[3]

الحاصل من التعريفين أن مصطلح الطلب عند السكاكي و القزويني متباينان؛ ذلك أن السكاكي ينظر إلى المصطلح بشكل أعم، فيشمل عنده الإنشاء الطلب وغير الطلبي، أما عند الخطيب القزويني فهو خاص بالإنشاء الطلبي لا غير.

وضربا الإنشاء (الطلبي وغير الطلبي)، ينقسم كل منهما إلى فروع يأتي تفصيلها فيما يلي:

أ- **<u>الإنشاء الطلبي</u>:**

ويشمل أنواعا كثيرة، هي أساليب الإنشاء الطلبي الأصلية عند جمهور العلماء، والرسم الآتي يوضح ذلك: [4]

---

[1] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ص 220-225.

[2] مفتاح العلوم، السكاكي، ص302.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة،محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني،تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل (بيروت)،مج:3،ص52-53.

[4] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص117.

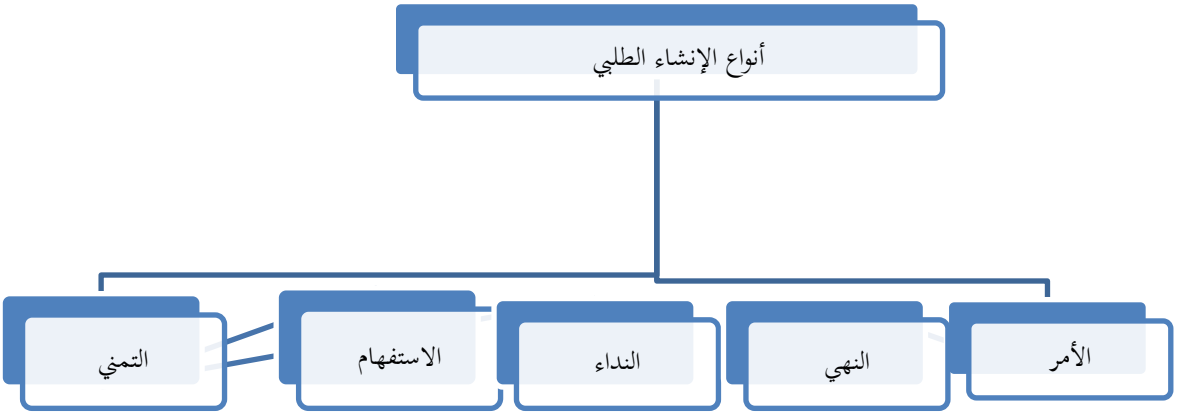

قرّر علماؤنا أن هذه الصيغ قد تخرج عن مقتضى دلالتها الظاهرة إلى أغراض وإفادات تواصلية بحسب ما يقتضيه المقام، فقد يخرج الأمر إلى الدعاء، أو الالتماس، أو التهديد... وكذلك الشأن مع باقي الأساليب وتفصيلها فيما يلي:

1- الأمر:

من جملة المعاني الإنشائية الطلبية التي بحثها علماء النحو والبلاغة، ويرجع معناها عند علماء البلاغة إلى: « طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام»[1]، ويعرفه ابن يعيش بأنه: « طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافته، فإذا كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء.»[2]

يرى بعض الباحثين أنّ ابن فارس كان من أوائل الذين عقدوا بابا باسم (باب معاني الكلام)، فعرّف الأمر على أنه: «عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصيا، ويكون بلفظ: (إفعل)و(لْيفعل) نحو: قوله تعالى: " أقيموا الصلاة" وقوله أيضا

[1] المعجم المفصل في علوم البلاغة، باب الألف، إنعام فوّال عكاوي، دار الكتب العلمية (بيروت –لبنان)،ط2، 1996، ص219.

[2] شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي،إدارةالطباعةالمنيرية، مصر،(د–ط)، (د–ت)، ج4، ص289.

عز من قائل: " وليحكم أهل الانجيل".»[1] كما تحدّث عن المعاني التي يحتملها لفظ الأمر والتي من بينها:

التمني: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن أبا ذر)، التعجب نحو قوله تعالى: "أسمع بهم وأبصر"....[2]

وصيغ الأمر أربعة هي:

- **فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3]
- **المضارع المقرون بلام الأمر:** كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[4]
- **اسم فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[5]،ومنه آمين بمعنى (استجب) و صه بمعنى (اسكت)...
- **المصدر النائب عن فعل الأمر:** كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، منشورات محمد علي بيضون،ط1، 1997، ص138.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص138- 140.

[3] سورة البقرة ،الآية(43).

[4] الحج(15).

[5] المائدة(105).

حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] وقوله أيضا: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ ﴾[2]

2- النهي:

النهي في علم النحو والبيان يعني: طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي صيغة الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة[3]. مثل قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[4]

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي ليدل على معان أخرى تُستفاد من السياق ومنها:

- الدعاء: كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا

[1] البقرة(83).

[2] محمد(4).

[3] ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكاوي ، ص 668-669.

[4] القصص(76).

حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1].

- التوبيخ: كقول أبي الأسود الدؤلي:

لاَ تنْهَ عن خُلقٍ وتأْتي مثلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ[2]

3- الاستفهام:

يعرفه صاحب التعريفات بقوله: « الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإذا كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور.»[3] ويراد بالاستفهام أمر لم يستقر عند السائل[4]، ويوضّح هذا ما أورده ابن فارس في كتابه(الصاحبي في فقه اللغة) في باب الاستخبار، حيث معنى الاستخبار(طلب خُبر ما ليس عن المستخبر) يتوافق عنده مع معنى الاستفهام، إلا أنّه يوضّح أنّ هناك فرقا دقيقا بينهما وعاه أناس، وهو أنك في الاستخبار تستخبر فتُجاب بشيء سواء فهمته أم لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فهنا يكمن الاستفهام فأنت الآن مستفهم لا مستخبر، ودليل هذا عنده أنّ البارئ جل شانه يوصف بالخُبر (الخبير) ولا يوصف بالفهم.[5]

وللاستفهام أدوات كثيرة تختلف حسب ما يراد فهمه، وإيجاز بيانها في النقاط الآتية:

- **الهمزة:** يرى صاحب الإيضاح أن: " الهمزة تأتي لطلب التصديق، كقولك: أقام زيدٌ ؟...، وأن ما يليها هو المسؤول عنه بها، فقولك: أَضربتَ زيداً؟ إذا كان الشك في

---

[1] البقرة286.

[2] ديوان أبي الأسود الدؤلي، تح/ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1964م، ص130.

[3] التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، ط1، 1983،ص18.

[4] ينظر: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، 1/ 99.

[5] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس،ص134-135.

الفعل نفسه و أردت بالاستفهام أن تعلم وجوده، وقولك: أأنت ضربت زيدا؟ إذا كان الشك في الفاعل: من هو؟ وقولك: أزيداً ضربتَ؟ إذا كان الشك في المفعول: من هو؟ [1]

- **هل:** لطلب التصديق فقط نحو: هل قام زيد؟
- **من:** يرى السكاكي أن (من) للسؤال عن الجنس من ذوي العلم ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون(فمن ربّكما يا موسى)، فأراد من مالككما ومدبّر أمركما، أَمَلك هو أم جنيٌّ أم بشر؟ ونظرا لإنكاره أنّ لهما ربّا سواه ذهب في سؤاله هذا على معنى أَلكما ربٌّ سواي؟ [2]
- **ما:** لغير العاقل نحو قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾[3]
- **أي:** للسؤال عنا يميز أحد المتشاركين في أمر يعمّهما، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾[4]
- **كم:** للسؤال عن العدد كقوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[5]
- **كيف:** للسؤال عن الحال نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[6]
- **أين:** للسؤال عنالمكان كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ

---

[1] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة،محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني ، ص136.

[2] ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص311-312.

[3] الأنبياء(52).

[4] مريم(73).

[5] المؤمنون (112).

[6] البقرة (28).

- فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ [1]
- **أنّى:** تأتي تارة للسؤال عن الحال ككيف نحو قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [2] أي كيف شئتم؟
- وتارة تأتي بمعنى(من أين)نحو قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾﴾ [3]
- **أيّان:** للسؤال عن الزمان، نحو قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [4]

وكثيرا ما تستعمل هذه الأدوات لمعان غير الاستفهام، فتخرج عن ذلك إلى ما يناسب المقام، ومن هذه المعاني: [5]

- الأمر: كقوله تعالى: " فهل من مدّكر"
- التعجب: كقوله تعالى: " ما لي لا أرى الهدهد "

***4-* النداء:** ويعني طلب الإقبال بالحرف (يا) وإخوته، سواء كان الطلب حقيقيا أو مجازيا، أو هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريد المتكلم .[6]

والنداء عند علماء النحو يعني:

---

[1] النساء (78).

[2] البقرة(223).

[3] آل عمران(37).

[4] الذاريات(12).

[5] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة،محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني ص141-147.

[6] ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكاوي ص663.

« طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة »[1]، ويعرفه الجرجاني بقوله: « هو إنشاء نسبة النداء بحرف يقوم مقامها ليُقبل المخاطب به إلى المتكلم به بقلبه، وليس مقصودا بذاته، وإنما ينادى؛ ليُبدأ بكلام بعده، أو ليعلم حضوره أو غيبته، أو لنسبة صفة إليه، فيكتفي بإطلاق مشتق منها عليه، نحو: يا فاسق ليعيّره به .»[2]

وحروف تنبيه المنادى ثمانية[3] وهي:

- الهمزة: لنداء القريب
- أي: وفيها أقوال، فقيل للقريب وقيل للمتوسط وقيل للبعيد.
- يا: لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وينادى بها القريب توكيدا وتسمى أم باب النداء.
- أيا: لنداء البعيد.
- هيا: للبعيد، وقيل: الهاء فيها أبدلت من همزة (أيا).
- آي: لنداء البعيد.
- آ: هي للبعيد وقيل للقريب.
- وا: هي عند الجمهور مختصة بالندبة، ومنهم من رأى أنها لغير ذلك.

5 – التمني:

ويعرّف بأنه: « إنشاء إرادة حدوث أمر ما »[4]، والأداة الموضوعة له هي: ليت، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾[5]. يقول السكاكي: « اعلم أن الكلمة الموضوعة للتمني هي ليت وحدها، وأما لو وهل في إفادتهما معنى

[1] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تح: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية(صيدا– بيروت)، ج1، ط1، 2003، ص474.

[2] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تح: د/ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، علي حسن، 1997،ص103.

[3] ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،د–ط،د– ت، ج4، ص 4– 11.

[4] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، ص98.

[5] الفرقان (27)

التمني ... وكأن الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي: هلا و ألا و لولا و لوما مأخوذة منهما مركبة مع لا و ما المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه على إلزام هل ولو معنى التمني، فإذا قيل: هلا أكرمت أو ألا بقلب الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأن المعنى ليتك أكرمت متولدا منه معنى التنديم، و إذا قيل هلا تكرم أو لولا فكأن المعنى ليتك تكرمه متولد منه معنى السؤال .»[1]

ب- <u>الإنشاء غير الطلبي:</u>

اختلف العلماء العرب القدامى حول تحديد أقسام هذا الجانب من الإنشاء؛ فلم يستقر الأمر على وجهة واحدة نتيجة لدقة النظر واستدامته في هذه المسألة، وأهم الموضوعات التي يدور حولها هذا الجانب من الإنشاء نجد: التعجب، والمدح والذم، الندبة، والإخالة.

1/ التعجب:

تحدّث عن هذا الأسلوب أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي حيث قال كما رُوي عنه: « أوّل باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .»[2]

ويعتبر هذا الباب (التعجب) من الأبواب المهمة في النحو، غذ عُني به النحويون فأفردوه بالتبويب وبحثوا في صيغه وشروط صوغه و إعراب تلك الصيغ، أما البلاغيون فلا يقصدونه بالنظر، نظرا لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء .[3]

---

[1] مفتاح العلوم، السكاكي، ص306 –307.

[2] سبب وضع علم العربية، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح: المروان العطية، دار الهجرة، (بيروت – دمشق)، ط1،1988،ص 52.

[3] ينظر: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزينالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع: 79–80، رجب – ذو الحجة،1408هـ، ص146 –147.

وهو في هذا العلم (النحو) يتفرّد عن بقية أبواب النحو الأخرى، كونه أقرب إلى لغة الإنسان الأول طبعاً وحساً، إذ ليس من شروطه أن يكون صيغا وأبنية قياسية وحسب، بل الأصل فيه أن يكون أصواتا خاطفة تعبّر عن دهشة النفس، وغريب ما يقع عليه الحس.[1] والتعجب على حد قول الأشموني في شرحه هو: « استعظام فعل فاعل ظاهر المزية بألفاظ كثيرة .»[2]

للتعجب صيغ تتوزع على ضربين أحدهما خاضع للقياس و آخر خاضع لمبدأ السماع يظهر من خلالها خروج الصيغ عن الدلالة الأصلية لتستلزم دلالات أخرى.

1/ **صيغتا التعجب القياسية:**

أ/ ما أفعله: وهي أكثر صيغ التعجب القياسية دورانا في العربية وهي تتركب من:

ما التعجبية: وقد زيدت دون غيرها لإفادتها الإبهام، وهي أولى في التعجب، لأن الشيء إذا كان مبهما كان أعظم في النفس، ويرجّح أنّ معناها في عرف النحويين (شيء) نحو: شيء أحسن زيدا، على حد قول ابن الأنباري، وهو ما ذهب إليه سيبويه وأكثر البصريين؛ ذلك أن الكلام على قولهم مستقل بنفسه لا يفتقر إلى تقدير وهو أولى من الكلام الذي يفتقر إلى تقدير .[3]

أفعل التعجب: وهي صيغة تعقب (ما) التعجبية على التوالي، وظيفتها رفع اللبس ودفع التعمية التي تساور بنيتها، لأنها الإفهام بعد الإبهام، وقد أورد صاحب الإنصاف في

[1] ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، كادة ليلى، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة الحاج لخضر، بسكرة ،ص 238.

[2] شرح الأشموني لألفية بن مالك، علي بن محمد بن عيسى نور الدين الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1998،مج 2، ص262.

[3] ينظر: أسرار العربية، عبد الرحمن أبو البركات بن الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999،ص 101.

مسائله، خلاف أهل البصرة والكوفة في كون (أفعل) التعجب اسم أم فعل، وساق بذلك حجج كل فريق وأسانيده في ذلك.[1]

ب/ أفعل به: وهي الصيغة الثانية المطّردة في باب التعجب، وهي كسابقتها، إذ يقال: "أجمِل بالروضِ" بمعنى "ما أجمل الروضَ"واختلف النحاة إزاء هذا الفعل أأمر هو؟ أم فعل ماض؟[2]

2/ المدح والذم:

وهو تركيب مرتبط أساسا بانفعال المرسل وإفصاحه عن شعوره رضا كان أو اشمئزازا على سبيل المبالغة في إنشاء فعلي المدح والذم وفي هذا الصدد يقول ابن جني: «اعلم أن نعم وبئس فعلان ماضيان غير متصرّفين ومعناهما المبالغة في المدح والذم .»[3]

وبما أن هذا التركيب ليس عرضة للتصديق أو التكذيب جُعل في خانة الإنشاء غير الطلبي ويمكن النظر لصيغه من زاويتي العموم والخصوص على النحو الآتي:

- **صيغ المدح العامة:**

يتمثل معنى إنشاء معنى المدح والذم في نضر الرضي الأستراباذي في قوله: « وذلك أنك إذا قلت: نعم الرجل زيد، فإنما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجودا في الخارج في أحد الأزمنة مطابقة هذا الكلام إياه، حتى يكون خبرا، (بلى)* تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته خارجا، ولو كان إخبارا صرفا عن جودته خارجا لدخله التصديق والتكذيب، فقول الأعرابي لمن بشّر بمولودة وقال: نعم المولودة: والله ما هي بنعم

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن أبو البركات بن الأنباري، المكتبة العصرية(صيدا- بيروت)،ط2003،1،ج1(119-104).

[2] ينظر: تيسيرات لغوية،د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،د-ط، 1990، ص31-32.

[3] اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د-ط، ص140.

* الأرجح (بل) ولعله خطأ غير متعمد.

الولد...، وليس تكذيبا له في المدح غذ لا يمكن تكذيبه فيه بل هو إخبار بأن الجودة التي حكمت بحصولها في الخارج ليست بحاصلة، فهو إنشاء جزؤه الخبر. »[1]

من خلال هذا يفصح الرضي عن معنى المدح والذم بصيغتيه: (نعم) لإنشاء المدح العام و(بئس) لإنشاء الذم العام، وقد أشار لغويّونا إلى أن الصيغتان تأتيان على أربع لغات: فَعِل وهي الأصل والثانية: فَعْل بإسكان العين مع فتح الفاء والثالثة: فِعْل بإسكان العين مع كسر الفاء والرابعة: فِعِل بكسر الفاء مع العين.[2]

و اختلف النحاة في تحديد بنيتهما الصرفية، فمضى فريق إلى اعتبارهما فعلين ماضيين جامدين موضوعين لغرض المدح والذم، أما الفريق الآخر فراح في ردّه إلى اعتبارهما اسمين مبنيين يتضمّنان معنى الإنشاء.[3]

من الشواهد التي يمكن سوقها في هذا الجانب:

قوله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾[4]

وقوله كذلك: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾[5]

- **صيغ المدح والذم الخاصة:**

هي صيغ ملحقة بالصيغتين الأصليتين، منقولة من أفعال مستوفية شروط التعجب تأتي على وزن (فَعُلَ) سواء كانت أصيلة كـ: جَمُلَ، حَسُنَ...، أو محوّلة إلى الضم كـ : ضَرُوَ،

[1] شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح/ يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط1، 1996م، ج2/1101-1102.

[2] المرجع نفسه،ج2/1103.

[3] ينظر تفصيل المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف،ج1/81-103.

[4] ص(44).

[5] الذاريات(48).

شريطة أن يتضمّن معنى التعجب .[1]وبهذا يصير بعد تحويله جامدا لا تتعلّق دلالته بزمن، فيفارق أصل وضعه الأول لاكتسابه معنى انفعاليا جديدا.[2]

من الصيغ المستعملة:

حبّذا: ومعناها حبّ الشيء، و(ذا) فاعل، وأصل (حبّ): حَبُبَ كظَرُفَ أي صار حبيبا، وهي(ذا) لا تجمع ولا تثنّى ولا تؤنّث، لأنه مبهم لازم الإفراد، تُخلع منه الإشارة لغرض الإبهام .[3]

فـ (ذا) تلزم الإفراد، إذ لا يقال: حبّ ذان ولا حبّ أولئك ولا حبّ تلك. وحبّذا تجري مجرى (نعم) في المدح يوضّح الأشموني هذا في قوله: « ومثل(نعم) في المعنى (حبّ) من (حبّذا) وتزيد عليها بأنها تُشعر بأن الممدوح محبوب وقريب من النفس»[4]، ويضيف الرضي أنه إذا دخل على حبّذا (لا) صارت تماثل (بئس) في المعنى.[5]

ساء: تأخذ معنى بئس، وأصله (سَوَأَ) بالفتح ثم حُوّل إلى الضم (فَعُلَ) فصار جامدا قاصرا.[6] من شواهده:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾.[7]

وقوله أيضا: ﴿سَآءَ مَثَلٗا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧﴾.[8]

وقوله عزّ من قائل: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٧﴾.[9]

3/ الندبة:

---

[1] ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب،ج1128/2.

[2] ينظر: المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية، كادة ليلى، ص244.

[3] ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1130/2.

[4] شرح الأشموني على الألفية 293/2.

[5] ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1130/2.

[6] ينظر: شرح الأشموني على الألفية، ج292/2.

[7] الفرقان(66).

[8] الأعراف(177).

[9] الصافات(177).

الندبة في اصطلاح النحويين: ضرب من النداء يُقصد به التّفجّع على مفقود حقيقة، أو ما نزل منزلة المفقود، أو الحسرة على المتوجّع له أو إظهار الألم من المتوجّع منه.[1]

يقول سيبويه: « اعلم أنّ المندوب مدعُو ولكنه متفجّع عليه، ...(و) لا بد له من أن يكون قبل اسمه "يا" أو "وا".»[2]

وأكثر ما يستعمل في أسلوب الندبة (وا) وقلّما تستعمل(يا) إلا عند أمن اللبس بالمنادى غير المندوب، كمن يندب ميّتا باسمه وفي الحضور من له الاسم نفسه، فهنا لبس يمنع معه استعمال (يا).[3]

نستنتج مما سبق أنّ أسلوب الندبة تعبير من النادب عن إحساس أليم إثر الفاجعة التي ألمّت به و تأثّر بها، فينفجر إحساسه وانفعاله بأن يمُدّ من صوته للتنفيس عن مشاعره، ليعرف السامع مدى حزنه وأساه، وهذا التعبير يرتبط بسياق معيّن وتنغيم صوتي مناسب وهنا يكمن الفارق بينها وبين أسلوب النداء.

4/ الإخالة:

يصطلح عليها النحويون بـ: "أسماء الأفعال" وهي: ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وفي عملها – وفي هذا اعتراض لا يتّسع المجال لذكره– تخلو من علامات تبرّر تقسيمها إلى ماض ومضارع وأمر. وهي جميعا للتعبير عن شحنة نفسية انفعالية يحسّ بها المتكلّم في الحاضر فلا تنسب إلى قسم زمني.[4]

وتنقسم أربعة أقسام:

أ– مبنيات كـ: هيهات، شتان، وَيْ، أوّه، آمين، مهْ، صهْ .

ب–ظروف وحروف مع ما يجرّ بعدها نحو: دونك، إليك .

ج– مصادر منصوب ما بعدها كـ : رُويدَ زيداً، بَلْهَ عمراً.

---

[1] ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون،مكتبة اللخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص146.

[2] الكتاب: عمرو بن بحر بن قنبر(سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج220/2.

[3] ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون ، ص147.

[4] ينظر: الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2000م، ص151–152.

د–مشتقات مبنية على الكسر على وزن فَعَالِ ينصب ما بعدها كـ : ضَرابِ، تَراكِ .[1]

من الشواهد التي يمكن التمثيل بها:

قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾.[2]

هذا باختصار عما جاء في مباحث الخبر و الإنشاء عند علمائنا العرب، ولا نعتبر أن هذا الجزء يلمّ بكل ما بحثه علماؤنا، لأننا استقصينا ما بحثه علماء الفقه والأصول مخافة أن نطيل دون بلوغ الفائدة؛ فقد أسهموا هم أيضا في استثمار ظاهرة الخبر والإنشاء في مجالها التداولي وتطبيقها على نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

و استنبط علماؤنا أفعالا كلامية جديدة بانتهاج هذا النهج (التداولي) وعلى غراره تم تقسيمهم للفعل الكلامي الكامل أربعة أقسام خلاف ما قام به أوستين وتلميذه سيرل، فيرون أن الفعل الكلامي يتكون من: [3]

فعل القول، والفعل المستدعي بالقول ويدخل فيه: الأمر والنهي والاستخبار، و الفعل المتضمن في القول الذي من ضمنه: ألفاظ العقود والمعاهدات، والفعل الناتج عن القول الذي يمثل في رأي أوستين وسيرل الفعل التأثيري.

يمكن أن نقول في ختام هذا الجزء أنّ هذه النظرية (الأفعال الكلامية) لها جذور ضاربة في أعماق الفكر اللساني العربي والغربي، إلا أنّنا لا يمكن أن يكون لنا باع في مجال البحث التداولي دون الاطلاع والتنقيب عما عرضه علماؤنا في ما تركوه من أبحاث، كما لا يمكن فهم ما أوردوه من إشارات قيّمة في هذا المجال إلا إذا مسحت الأيدي المتخصصة في المجال الغبار بعيون فاحصة تنظر للتراث نظرة كنز لا يمكن الاستغناء عنه.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص152.

[2] المؤمنون (36).

[3] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي،ص147– 150.

الأفعال الكلامية في تفسير ابن باديس:

مما يمكن الانطلاق منه في هذا الجزء التطبيقي أنّ هناك مجموعة من الدعامات الرئيسية الواجب مراعاتها في تحليل الخطاب، لاعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر تتمثّل في: المرسل والمستقبل أو الجمهور والرسالة أو الموضوع والهدف.

إذ يظهر تأثيره (الهدف)جليا في استراتيجية المرسل، لاعتباره يتيح له اختيارات معينة من بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي، وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بنائه، وهو يفسّر الكثير من المتغيرات الأسلوبية التي ترافق عملية التعبير اللغوي على حد تعبير (هايمز)، كما أن بعض علماء اللغة من ربط بين هدف الخطاب والأثر الذي تحدثه وسيلة الاتصال بين المرسل والمتلقي، ما سموه بالقناة.

ثم لا ننسى في هذا المجال أهمية السياق الذي يدل في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، وقد يعبّر عن معنى السياق بألفاظ أخرى كالمقام ومقتضى الحال والتأليف وغيرها.[1]

وتظهر أهميته(السياق) في تغيير العديد من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية و الإبلاغية، لدى كل من: منتج الكلام والمتلقي، وهو أيضا ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية.و المقام على حد تعبير الدكتور أحمد المتوكل: مجموعة العناصر التي تتوفّر في موقف تخاطبي معيّن، والتي من أهمّها زمان التخاطب ومكانه

[1]ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د(ة)/ خلود العموش، جدارا للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط1، 2008، ص25.

وعلاقة المتكلّم بالمخاطب وخاصة الوضع التخابري القائم بينهما: أي مجموع المعارف التي تشكّل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب.[1]

من هنا يمثّل المقام أو سياق التخاطب ركنا أساسيا في وضع وفهم الرسالة اللغوية بين مرسل ومستقبل يملكان مخزونا معرفيا متشابها، حتى نستطيع القول بأن ما يجري بينهما تخاطبا أو خطابا لغويا، في زمان ومكان معيّنين.

يعتبر الخطاب في عرف المفسرين: الرسالة اللغوية التي يحملها النص القرآني، وتظهر وظيفته التواصلية باعتباره خطابا من المرسل سبحانه وتعالى إلى العباد عبر قناة للاتصال وهي اللغة، كما أن هذه الرسالة تحوي مضمونا هو موضوع الخطاب، وتهدف إلى إحداث تغيير في حياة المخاطَبين.[2]

والنص القرآني بهذا المفهوم رسالة لسانية في حدّ ذاته، ثمّ هو رسالة عقائدية، ذلك أنه نص غير مبهم ولا مستعصي الفهم، فقد نزل إعجازا وتحدّيا لأرباب البيان بمنطوقه ومفهومه، وهو من حيث تشكّله يمثّل كلّا متماسكا، وينماز عن بقية النصوص بفرادة تماسكه و كيفية هذا التماسك، فهو نص يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السورة الواحدة، كما يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السور المتعدّدة.[3]

اجتمعت حول النص القرآني لشأنه ومكانته عديد الدراسات (لغوية، تفسيرية، تشريعية)، ولا يستطيع دارس الوصول إلى ما يطمح له بعد درس النص دراسة وافية تتضمن الكثير من الاستيعاب والفهم إلا إذا «عرف تاريخ اللغة التي نزل بها النص و

[1] ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي(الأصول والامتداد)، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص172.

[2] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ، ص23- 249

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 12.

أسرارها في التعبير ومقاصدها في البيان»[1]، لأنه يقابل نصا يمتلك كلاما، يتعامل باللغة ومعها، حيث تنتقل و تتحوّل وظيفتها من دلالية إبلا غية إلى علامات تحيل على معان ودلالات معقولة، والتي غالبا ما تحمل المتلقي في سياق هذا التحويل على: التعقّل، التذكر، التدبّر.[2]

ونتأكّد أكثر من خلال المؤلف الذي نحن بصدد البحث فيه(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)؛ فابن باديس جعل من لغة القرآن وسيلة للتذكير و الإصلاح، والقارئ الكريم إذا طالع صفحات هذا المصنّف سيظهر له أن الشيخ اعتمد اللغة البسيطة في عرض أفكاره ودعمها بما جاءت به نصوص القرآن والحديث النبوي في بعض الأحيان، إضافة إلى الهدف الأساس من هذا البحث والمتمثّل في الكشف عن المباحث التداولية في التفسير انطلاقا من مبحث الأفعال الكلامية. وفيما يلي تفصيل وتحليل لذلك.

أ/ الأفعال الإنجازية المنبثقة عن الخبر:

الخبر والتقرير :

تمثّل التقريريات صنفا من الأفعال الكلامية، يتمثّل الغرض منها تحميل المتكلّم مسؤولية ما يتلفّظ به، أو القضية التي يعبّر عنها، وتتميّز بأن اتّجاه المطابقة يكون من القول إلى العالم، فيكون القول مطابقا للوقائع والأحداث الموجودة في العالم الخارجي، وكذا صدورها عن انطباع يعبّر عنه بالاعتقاد.

[1] التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص39

[2] ينظر: النص–السلطة–الحقيقة(الفكر الديني بين إرادة المعرفة و إرادة الهيمنة)، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص86-87

ونحن في قراءتنا للمدونة لا نعدم تنبّه ابن باديس إلى هذا النوع من الأفعال الكلامية، ومنها ما عبّر عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، حيث إنّ هذه الآية أُعيد الحديث فيها إيجازا وإجمالا، عن أصول السعادة الحقة التي تضمّنتها الآيات السابقة أمرا ونهيا، قصدا للتأكيد وتقريرا لهذه الأصول العظيمة في النفوس.[2]

فقد نصّ الشيخ على فعل كلامي في الآية الكريمة يندرج ضمن (التقريريات) وهو: التأكيد، المستفاد من صيغة الآية وأسلوبها، ويتمثّل غرضه التواصلي في استعمال الباث له لتثبيت الأمر في نفس المخاطَب و إزالة ما «علِق بها من شكوك و إماطة ما خالجها من شبهات»[3]، والشيخ يوضّح هذا انطلاقا من هذا المفهوم. فالله عرّف عباده في هذه الآية – على ما تقدّم في التقرير– أنّ ما أمرهم به هو الحسن المحبوب وما نهاهم عنه هو القبح المبغوض. فعلِموا من ذلك أن أوامر الشرع ونواهيه هي على مقتضى العقل الصحيح والفطرة السليمة، وأنّه تعالى لا يأمر بقبيح ولا ينهى عن حسن، وفي علمهم ما يحملهم على الامتثال ويرغّبهم فيه، وفي قوله"عِنْدَ رَبِّكَ" غاية الترغيب في الحسن والتنفير من القبيح.[4]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَ لاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[5]، ينبّه ابن باديس إلى أنّ الله تعالى يُخبِر بأنّه لا يزال القرآن يدمغ باطل الكفار بحقّه فيزهقه، ويصدع غشاء تمويههم بصادق بيانه فيمزّقه؛ لطمأنة قلب نبيّه الكريم وتثبيته ووعده له بدوام النصر والتأييد.

---

[1] الإسراء(38).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير،ابن باديس، ص109.

[3] في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ط2، 1986، ص234.

[4] تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص110.

[5] الفرقان(33).

الإخبار بأن رزق العباد عليه في قوله جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[1]، بما يسّر لهم من أسباب جلية أو خفية، والغرض منه إبطال خوفهم من الفقر، وقد فسّر ابن باديس الآية بكون العرب في زمان البعثة هم المخاطبون قبل غيرهم من الناس بالقرآن، وهم أوّل المأمورين بالبلاغ من الناس – لعموم الرسالة– كما أنّ اهتداء غيرهم يتوقف على هدايتهم، ومن الحكمة توجّه القصد إلى تطهيرهم من مفاسدهم.

الخبر في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2]، فقد جاءت هذه الآية تخبرنا عما في القرآن من الشفاء والرحمة؛ تنبيها على أنه هو الشافي من أمراض الباطل وعلله، وأنه مصدر الحق وحجّة ناصره ومحصّل الرحمة لأتباعه والمتمسّكين به. وأفادت هذه الآيات أن القرآن شفاء لأهل الإيمان الذين يؤمنون دون غيرهم.[3]

ومن الدلالات التي يخرج إليها الخبر غرض التحذير ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[4]، ففي هذين الآيتين يبصّرنا الله تعالى في هذين الوصفين الذميمين (الإعراض عن النعمة، واليأس من الرحمة)، ليحذّرنا منهما ومن سوء عواقبهما، لأن الإعراض عن النعمة كفر بها ومقتض لسلبها، واليأس من الرحمة جهل بها، موجب لانطماس القلب، وشلل البدن، وانقطاع الأعمال.

---

[1] الإسراء(31)

[2] الإسراء(82)

[3] تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص 141-143.

[4] الإسراء83-84

فابن باديس هنا يوضّح سبب مجيء الخبر على هذه الصورة، فلم يقصد منه مجرّد الخبر وإنما غرضه التحذير من الوقوع في هذين الوصفين الذميمين، وما ينجرّ عنهما.

أما في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥ ﴾[1] لم يفصّل- رحمه الله -في صيغة (أعلم) إلا أنه عبّر عنها بصفة عابرة حين قال: « ذكر اسم الرب لأنه المناسب لإثبات صفة العلم»[2]. فأعلم جاءت على وزن أفعل صفة ثابتة في الرب تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾[3] في

هذه الآية إخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين بأنه يرد عنهم كيد أعدائهم ويبطل مكرهم، ويكفّ شرّهم، و إن عظُم ذلك منهم وكثُر.

كما بيّن (رحمه الله) أنّه تعالى أكّد تقريرا أنّ ما أمر به هو الحسن المحبوب وما نها عنه هو القبيح المبغوض، بقوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾[4]، ورغّب غاية الترغيب في الحسن ونفّر من القبيح بقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.[5]

وفي آية : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾[6]

[1] الإسراء25

[2] تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص75.

[3] الحج 38.

[4] الإسراء38.

[5] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص109-110.

[6] الإسراء82.

إخبار عما في القرآن من الشفاء والرحمة، لغرض التنبيه على أنه هو الشافي من أمراض الباطل وعلله، وأنه هو مصدر الحق وحجة ناصره، ومحصّل الرحمة لأتباعه والمتمسّكين به.[1]

في قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾،[2] في هذه الآية ينبّه ابن باديس إلى أنّ: فعل الشرط وجوابه جاءا ماضيين(أنعمنا، أعرض ونئا)، لتحقّق وقوعهما ولذلك كان التعليق بـ (إذا)وجواب الشرط والفعل والمعطوف عليه، وفيهما الصورة التامة للمعرض غاية الإعراض، ثم هما كناية عن الاستكبار وعد م الاكتراث، وعدم الالتفات إلى مولي النّعم سواء حصلت هذه الصورة بالفعل أو لم تحصل، وقد بيّن أنّ الغرض منهما هو التحذير منهما ومن سوء عاقبتهما.[3]

يوضّح الشيخ الغرض من قول تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾،[4] أنّ(الذي نزّل) عرف المسند إليه بالموصولية لزيادة تقرير الغرض الذي إليه سيق الكلام لأن الغرض: بيان كمالات الله وإنعماته وتنزيل الفرقان واحدة منها[5]. فالله تعالى في هاتين الآيتين يخبرنا بما هو عليه من تعاظم وكمال وإنعام.

---

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص 141-142.

[2] الإسراء83-84.

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص 147-149.

[4] الفرقان1-2.

[5] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص153-154.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1]، فيبيّن أنّ الغرض من الآية إخبار منه تعالى بأنّه لا يزال القرآن كذلك: يدمغ باطلهم بحقه فيزهقه، لطمأنة قلب النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنّها(الآية) موصولة بما قبلها لأنها تشاركها في الخبرية، والمُخبِر عنهم(الكفار)، والموضوع المُتحدّث عنه(شبههم الباطلة، واعتراضاتهم الفاسدة، والرد عليها)، ثم إنّه تعالى عبّر بالماضي في (جئناك) رغم أنه في معنى المستقبل، فأفاد تحقّق المجيء ليناسب مقام الوعد والتثبيت.[2]

من بين الصور التي يأتي عليها الخبر الوصف، وهو ما جاء في آيات صفات عباد الرحمن، إذ يستنتج الشيخ أنّه بسبب تجاهل المشركين للرحمان، واستكبارهم عن السجود له، عرّفهم القرآن بالرحمان: بخلقه، وتدبيره وإنعامه، ثم عرّفهم بعباده الذين عرفوه بذلك، فكان تعريف القرآن لعباد الرحمان بعد تعريفه، تشريف كبير لهم، وتبكيت لأولئك المتجاهلين المتكبّرين، كما يمكن أن يكون وجه المناسبة أنه لما ذكر التذكر والشكر في الليل والنهار في الآية المتقدّمة، ذكر صفات المتذكّرين الشاكرين، وثمرة تذكّرهم وشكرهم، ليرغّب في التّذكّر والشكر.[3]

وقد أثبت لهم في الآيات المتقدمة أصول الطاعات ونفى عنهم أمهات المعاصي في آيات منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾[4] تنبيها على أنّ الإيمان الكامل هوما تثبت معه الطاعات وتنتفي معه المعاصي، وفيه أيضا تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه المعاصي، والغرض من تقديم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي التنبيه

[1] الفرقان(33).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص 182-183.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص192-193.

[4] الفرقان(68).

على أن من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالإخبات و الانقياد للأوامر الشرعية ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكفّ عن المعصية.[1]

ويبيّن كذلك الغرض من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾[2] ، أنّه خبر من الله تعالى عما أعطى لهذين النّبيين الكريمين من الخير العظيم، وما كان منهما من الشكر، والاعتراف لغيرهما بما كان من مثله، وكذا إعلانهما ما كان لله عليهما من نعمة التفضيل العظيمة بحمده والثناء عليه.[3]

فالواضح من هذا أنّ الأفعال الواردة في الآية تنتمي لصنفين هما: التقريريات والإعلانيات؛ فـآتينا فعل تقريري، أما: قالا الحمد ..، فضّلنا...، فهما من صنف الإعلانيات، والشيخ فسّر ذلك بقوله: إعلانهما...

ويرى ابن باديس أن الغرض هو الإخبار في قوله تعالى: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾[4]، بأن هذا الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم نزّله القوي الغالب الذي لا يغالب، و اشتملت الآيات على أطراف الخطاب: (الله/ مرسل، الكتب/ رسائله، الرجال/ رسله، الخلق/ المرسل إليهم)، واشتملت كذلك أمهات أصول العقائد الثلاثة: الإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر. فانتظمت تقرير الأصل الثاني بالقسم عليه. وجاءت هذه الآية لتقرير الأصل الثالث في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص 219.

[2] النمل(15).

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص254.

[4] يس (12-1).

أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[1].ومن هنا يتّضح أنّ ابن باديس يوضّح بأنّ القسم في الآية خدم غرض التقرير، ولم يُقصد منه مجرّد القسم، ثمّ إن الآيات ككل يمثّل التقرير غرضها الأساس.

يشير ابن باديس إلى الغرض الإنجازي للفعل(أدعو) في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] ، إلى أنّه الإعلان بنفسه في مقام الدعوة، لأنّ شأن الداعي على بصيرة أن يجهر بدعوته ولا يستتر بها، كما أنّ اتصال اللفظ الدال عليه (أنا) باللفظ الدال على أتباعه (من اتّبعن) كما تتّصل بدعوته، لأنّ شأن الصورة اللفظية هو مطابقة الصورة الخارجية، كما أن الكلام تصوير للواقع.[3]

والواضح من هذا أنّ ابن باديس يفسّر سبب مجيء الخبر بهذا الشكل، ومدى ملاءمة هذا الخبر للواقع الخارجي، وهل يوجد بينهما مناسبة حقيقية أم لا؟

مما سبق يتّضح أنّ ابن باديس تنبّه إلى الغرض الإنجازي للفعل الكلامي، وفي هذا الصنف تحديدا، إذ تنوّعت الأغراض والمقاصد من تقرير، إلى إعلان إلى وصف، سواء كان القصد إليها مباشرا أو غير مباشر.

3.الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء:

التوجيه في الأمر والنهي:

[1]: ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس ، ص 288-306.

[2] يوسف 108.

[3]ينظر: تفسير في مجالس التذكير، ابن باديس، ص316.

يتمثّل غرضها الإنجازي في محاولة المتكلّم حمل المتلقي على أداء عمل ما، أو التأثير عليه لفعل شيء معيّن، ويكون اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، [1] أي أنّ العالم يجب أن يطابق القول. ويتميّز هذا الصنف من الأفعال بـ :

- كون المخاطَب مسئولا عن إحداث تلك المطابقة.
- أن يكون الفعل المطلوب من المخاطَب في زمن المستقبل.
- أن يكون المخاطَب قادرا على الامتثال[2].

من ضمن الأفعال الإنجازية المنتمية لهذا الصنف التي استعملها الشارع الحكيم وتنبّه لها ابن باديس " فعلا الأمر والنهي " وما يفيداه من دلالات وظيفية، ونظرا لاشتمال بعض الآيات عليهما معا رأينا أن نوردهما بهذا الشكل مع الحفاظ على الترتيب الموجود في المدوّنة ليستطيع القارئ الوصول لضالّته بشكل يسير:

ففي قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾[3]،

الأمر منه تعالى بالنظر في أحوال التفضيل الدنيوي وقياسه على التفضيل الأخروي، واستعمل للسؤال عن الحال "كيف"، بصيغة فعل الأمر الصريح (اِفعَلْ) ليُرغِّب الخلق في تحصيل الفضل في درجات الآخرة.

[1] ينظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة(دراسة دلالية ومعجم سياقي)، د/ علي محمود حجي الصراف ، ص62.

[2] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد صوينت، كلية الآداب جامعة المستنصرية، ط 1430هـ/2009م، ص135.

[3] الإسراء (21).

(فكيف فضّلنا..) اقترنت بفعل الأمر، لهذا كان الغرض منه الترغيب، وهو ما يعضد قول ابن باديس بأن من: «شأن الأمر والنهي أن يقترن بما يحمل على امتثاله من الترغيب والترهيب».[1]

وفي قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، يُعلِمُ الخلق كلّهم بأنّه تعالى أحقّ بالعبادة عمّن سواه، ويحدد دلالة الفعل" قضى" فقد جاء في الآية بمعنى الأمر والحكم، والمقام هنا مقام أمر، حيث يأمر الله تعالى بأن تقصر العبادة عليه، لأنّه هو الرّب وحده[3]. وعلى هذا يمكن القول بأنّ الفعل(قضى) يندرج ضمن الأفعال التوجيهية؛ فهو من الألفاظ التي يعبّر بها عن الأمر، كألفاظ الوجوب وما في حكمها، نحو: أوجبت، يجب، فرضت، ينبغي...[4]، لأنّ من أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب، وهذا واضح من الصيغة اللغوية والسلطة في الخطاب من أعلى إلى أدنى (الله (الآمر)، العباد (المأمورون)) .

كما أنّ من مميّزات الفعل الإنجازي (الأمر)، إمكان دلالته على التوجيه بدوام السياق الأصلي بمختلف قيوده وقرائنه، [5] وهو المستفاد من الآية فزمن الفعل (قضى) يدل على أنّ الأمر فُصِل فيه، مع الدلالة التي نسبها الشيخ إليه، بأنّه يمثّل قضاء شرعيا يمتثله الموفّقون ويخالفه المخذولون، ثم الإتيان باسم (الرب) في هذا المقام للتنبيه على أنّ مستحقّ

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص322.

[2] الإسراء23.

[3] ينظر : تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ،ص63

[4] ينظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة(دراسة دلالية ومعجم سياقي)، د/ علي محمود حجي الصراف ، ص112.

[5] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص342-343

العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك؛ فانتظمت الآية توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.[1]

تعتبر وُجهة المنفعة أمرا ضروريا في إبراز حكم التوجيه، حيث أنّ الأصل في الفعل المأمور به أن يؤدي مصلحة- غالبا ما تكون للمرسل-، و الخطاب هنا موجّه لمنفعة المرسل إليه وهم العباد، لاعتبار أنّ من أخلّ بهذا الأمر يتّصف بنقص في دينه، وعلى هذا يكون استحقاق هذا الأمر حكم الوجوب، وقد عبّر عنه ابن باديس بقوله: « فالله يُعلِم الخلق كلّهم في هذه الآية بأنّه أمر أمراً عاماً (لجميع المكلّفين) وحكم حكماً جازماً بأنّ العبادة لا تكون إلاّ له ».[2]

يأتي الأمر في كثير الأحيان بصيغ وألفاظ صريحة، إلا أنّ هناك ما يقوم مقام هذه الصيغ، فقد أمر سبحانه في آية الإحسان إلى الوالدين في قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ بالإحسان لهما عن طريق الإيجاز بذكر المصدر النائب عن فعل الأمر(إحسانا)، فحذف (أن تحسنوا) لدلالة المصدر عليه، و هو في مجيئه نكرة يفيد التعظيم، وقد عُدّيَ بالباء فأفاد الأمر باللطف في الإحسان والمبالغة في تمام الاتّصال بهما...لأنّ الباء هنا بمعنى اللصوق. فقد قدّر نظم الآية كالآتي: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه، وبأن تحسنوا للوالدين إحسانا). ثمّ لعلّيتهما في الحكم (الوالدية) هما يستحقّان الإحسان سواء كانا مؤمنين أم كافرين .

ويطابق هذا الأمر في حكمه ما سبق لقول ابن باديس: « وهذا الإحسان الواجب لهما، جانب الأم فيه آكد من جانب الأب، وحظها أوفر من حظّه ...»[3]

---

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ص63.

[2] المصدر نفسه: ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص67.

كما جاء الأمر في هذه الآية صريحا بصيغة الأمر(اِفعَلْ) في قوله تعالى: (و اخفِضْ، وقل). فاخفض في هذه الآية تفيد –على رأي الشيخ– مع متعلّقها (من الرحمة)، الأمر بأن يكون ذلك الخفض ناشئا عن الرحمة الثابتة في النفس، لا عن مجرّد استعمال ظاهر، وهو يفيد ويؤكّد ما تقدّم في الآية وحكمه لزوم (وجوب) تطابق الإحسان لهما ظاهرا أو باطنا، وقس على هذا الفعل (قُلْ).

لقد جُمِع ذكر الوالدين بذكره تعالى في باب الأمر في القرآن، كما جاء الجمع بينهما في باب النهي في السنة النبوية ففي قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين).

وقد أورد ابن باديس ما يعضد قوله تعالى في إقران ذكره بذكر الوالدين في آيات أخر:

- ففي الأمر بشكره وشكرهما يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾[1]

يضيف على هذا في الحكم بأن يورد تعالى الأمر تقريرا بلفظ التوصية في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾[2]، وهذا الإحسان الواجب لهما جانب الأم آكد فيه من جانب الأب، وحظها أوفر من حظه لهذا الدليل(الآية)، والآية الأخرى التي يقول فيها سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾.[3]

[1] لقمان 14.

[2] العنكبوت(8).

[3] لقمان(14).

كما يفصّل سبحانه الإحسان لهما(قولا وعملا) ويؤكده في حال الكبر أحدهما أو كليهما بالذكر، لما لهما عليه من الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر وضيق الصدر منهما ومن تصرفاتهما؛ فنهى عن التضجر منهما بالتفوه بأقل كلمة تدل على ذلك وهي(أُفٍّ) وفي هذا أمر بتحمّل كل ذلك منهما.

كما نهى– وسنراه لاحقا– عن زجرهما بصياح وإغلاظ، أو إظهار الغضب في الصوت واللفظ بقوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ وهو في هذا (السياق) أمر بالتلطّف معهما في الطلب والعرض.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أمر بأن يخاطبهما بجميل القول، ويؤنسهما بطيب الحديث. ونهي(في ذات الوقت) عن أن يؤذيهما في قول، أو يوحشهما بطول السكوت.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾،[1] تفيد (من) مع متعلّقها (اخفض) الأمر بأن يكون ذلك الخفض ناشئا عن الرحمة الثابتة في النفس.

وفي الآية: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، يشير ابن باديس إلى أنه بعد إحسان الولد إلى أبويه (سواء كانا كافرين أو مسلمين)، دعاؤه لهما بالرحمة بعد مماتهما إذا كانا مسلمين. وهذا ظاهر في الآية فهي تعني– في نظره– سؤال الله الرحمة لهما.

لقد جمع ابن باديس ما جمعته هذه الآيات الثمان عشر، وغايتها التداولية انطلاقا من الأفعال الإنجازية الواردة فيها بقوله: « وهذه الآيات الثمان عشرة قد جمعت من أصول الهداية ما تبلغ به النفوس– إذا تمسكت به – غاية الكمال»[2].

[1] الإسراء(24).

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ص74.

فقد أمر تعالى في الآيات المتقدمة بعبادته والإخلاص له، كما أمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما في الظاهر والباطن، كما أمر بغير ذلك في الآيات اللاحقة.

أما **النهي** فله صيغة أصلية يتلفّظ بها المرسل في خطابه، ولا يختلف عن الأمر في صدوره من صاحب رتبة عليا إلى من هو في مرتبة دنيا، ويشهد بهذا المبرّد في قوله: « واعلم أنّ الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر»[1]، وللنهي حرف واحد وهو لا الجازم (لا تفعل)، وهو بهذا الاستعمال يفيد التوجيه للمخاطب والغائب.[2]

ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾[3]؛ فالفعل"لا تجعل" دلالته الاعتقاد، وهو نهي منه للخلق كلهم أن يعتقدوا معه شريكا في ألوهيته فيعبدوه. والخطاب هنا موجّه من الله تعالى لنبيّه الكريم، غير أنه عام للمكلفين، وهذا ما يؤكد شمول فعل النهي الغائب والحاضر؛ إلا أنّ ابن باديس زاد فالسّرّ– في نظره– في مثل هذا الخطاب الغرض منه تنبيه الخلق إلى أنّ شرائعه تعالى وتكاليفه عامة للرسول والمرسل إليهم[4]، ويطابق هذا الأفعال: لا تقل، لا تنهرهما...

يمكن أن يستعمل للنهي لا الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع، وذلك في مثل قوله تعالى على لسان النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[5]، وقد علّق ابن باديس على هذا القول بأن النملة نهتهم عن أن يحطمهم والحطم ليس من فعلهم حتى يُنهوا عنه، فكان المعنى: لا تكونوا خارج مساكنكم فيحطمنّكم، فنهتهم عن المسبّب والمراد به النهي عن السبب، لما في ذكره من التخويف الحامل على

[1] المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د–ط، د–ت، ج2، ص135.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص134.

[3] الإسراء(22).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص62.

[5] النمل (18).

الإسراع إلى الدخول، وفيها تأكيد لبداية قولها: ادخلوا مساكنكم لا تبقوا خارجها، لمعرفة هذه النملة (المرسلة) ببني جنسها (المرسل إليه)، وكذا عناصر السياق؛ فلم يُنسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها، لأنها تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معهم، فأنذرتهم في أشدّ ساعات الخطر أبلغ الإنذار[1].

نتأكّد من هذا أنّ للنهي طبقات انطلاقا من سياقه التداولي؛ فمعرفة المرسل خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة، ومدى أهمية الأمر المنهي عنه، هي أهم الأشياء التي توضّح خصائص النهي.

كما للنهي صيغ وألفاظ يستعملها المرسل لتوضيح غرضه، وتتمثل في مادة(حرم، حظر، منع، نهى) ومشتقاتها، ويستوي استعمالها بأي صيغة صرفية (اسم المفعول، المصدر، ....)، بالنظر إلى قصد المرسل ولا يعدم هذا وجود فروق دقيقة بين كل صيغة و أخرى، فكل منها تحتفظ بسماتها التركيبية والدلالية...[2]

وفي قوله تعالى:﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ إلى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.[3]

- الأمر بإعطاء الحقوق لأربابها وهم واضحون من سياق الآية، واقتضى ذلك وجوب القيام بالفعل.

- النهي عن تبذير المال بشكل عام(ولا تبذّر تبذيرا) لإيراده بعد الفعل النكرة(تبذيرا) التي أفادت العموم.[4]

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص262-263.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص351.

[3] الإسراء (30-26).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص78-82.

أما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا ﴾ الابتغاء هنا –كما عبّر الشيخ–معناه الطلب باجتهاد. فقد جاء هذا الطلب بذكر المصدر من الفعل، وفي قوله: ﴿ فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ أي أنه (الإنسان) مُطالَب(بصيغة الأمر) بحسن المقال بدلا مما عجز عنه من النوال.

يوضّح كذلك النهي في تفسيره(رحمه الله) لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا ﴿٢٩﴾ ﴾، والخطاب هنا لا يدخل فيه النبي صلى الله

عليه وسلم بإجماع، وكذا من كمُلت صفاتهم وعظُمت أنفسهم؛ فكان هذا نهياً عن طرفي الإفراط والتفريط(الإسراف)، حيث يتجلى الغرض المتضمن في القول من هذا النهي فيتحذيرهتعالى من سوء عاقبة الإسراف بـ قوله: "فتقعد ملوما محسورا"، أما الفعل التأثيري فيكون الإرشاد إلى السلوك الأقوم في العمل (الإنفاق)، ثم الإرشاد إلى العقد الصحيح في مسألة تفاوت الأرزاق، وغاية كل هذا: الهداية إلى الاستقامة في الظاهر والباطن.[1]

كذلك النهي عن قتل الولد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾[2]، إذ يوضّح (الشيخ) فعل النهي وملابساته بقوله: «فقد نُهوا عن هذا القتل الفظيع مع ذكر سببه، لتصوير حالتهم بوجه تام، وليتلخّص من ذكر السبب إلى إبطاله وردّه.»[3] وبيّن أيضا النهي عن الزنا والدُّنُو منه، والفائدة من هذا النهي(حكم التحريم) سواءً دنا منه بالقلب أو بالجوارح، كما نهى تعالى بشكل صريح عن قتل النفس وحرّم ذلك إلا بالحق، وكذا قربان مال اليتيم إلا بالوجه الأنفع له، وبهذا حرّم أخذ مال اليتيم بالباطل، والتعدي عليه ظلما في قوله تعالى من السورة نفسها الآية 24–25: ﴿وَلَا

[1] ينظر :المصدر السابق، ص 84–88.

[2] الإسراء (31).

[3] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص89.

تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

استنتج الشيخ بإيراده تعالى اللفظ العام في آية الوفاء بالعهد في قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾ اقتضاء الأمر بالوفاء عاما(دلالته على العموم)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي مطلوب الوفاء به فطرة وشريعة ودلالته هنا هي: الترغيب في الوفاء بحسنه ومشروعيته وحسن الجزاء عليه، وفي المقابل التخويف من ترك المطلوب.

ويتبع هذا الأمر بإيفاء الكيل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾، حيث أمر قبله بحفظ الأموال واحترام الملكية ثم إن الوفاء في هذه الآية يكون عند الكيل وهنا أمر أيضا باختيار الآلة الصالحة لذلك.

يبيّن الشيخ مقصده تعالى من خطاب النهي في قوله من هذه السورة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾، إذ نهانا الله في هذه الآية عن أن نعتقد إلاّ عن علم أو نفعل إلاّ عن علم أو نقول إلاّ عن علم، حسب ترتيب هذا الإتّباع ومادة حصوله(القلب، الفعل، القول)، كما يشير معنى الآية إلى النهي عن اتّباع ما ليس به علم، وكل هذا راجع إلى دلالة الفعل (تقفُ) الذي اختيرت مادته في الآية، بأنه اتّباع عن غير علم، وكذا دلالة (علم) الذي هو في نظر الشيخ: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن بيّنة، وختام هذه الآية تأكيد لهذا النهي في قوله ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.[2]

[1] ينظر: المصدر السابق ، ص 88-95.

[2] المصدر نفسه، ص99-107.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ إلى ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ من هذه السورة، في هذه الآيات النهي عن الإعجاب بالنفس والفرح بها ضمنا، وكذا النهي عن ما ينجرّ من هذا الإعجاب بالمشي بمرح في الأرض وغير ذلك تصريحاً.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ أمر الله نبيه الكريم أن يرشد العباد إلى قول التي هي أحسن، والمأمورون هم المؤمنون.[2] و أيضا في قوله تعالى :﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾، معناه أقم يا محمد، و أمره أمر لأمته، فهم مأمورون بالاقتداء به وقد جاء في السنة عن النبي صل الله عليه وسلم امتثال هذا الأمر ترغيبا وترهيبا .[3]

ثم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾، بيّن (الشيخ) معنى التهجد بأنّه: ترك الهجود (النوم) أي ترك النوم، كما أنّ بناء (تفعّل) يكثر في التحصيل كتعلّم وتقدّم وجاء قليلا في معنى الترك والمراد هنا ترك النوم للقيام بالعبادة. و الآية–في نظره– حث وترغيب على قيام الليل للعموم، ووعد له صلى الله عليه وسلم بالمقام المحمود، [4]وهو المعنى التداولي المفهوم من الآية الكريمة.

يستخلص (رحمه الله) من قوله تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ أنّ الأعمال تنبني على العقائد، لذلك عبّر عن معنى الآية بقوله: « قل

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ،ص 107–109.

[2] المصدر نفسه، ص 113.

[3] المصدر نفسه، ص132–135.

[4] المصدر نفسه، ص 137–140.

يا محمد –صلى الله عليه وسلّم– كل فريق منا ومنكم يعمل في حياته على طريقته ومذهبه ... فربّكم أعلم بمن هو أقوم طريقا وأسدّ مذهبا.»[1]والواضح من قوله هذا أنّ الخطاب موجّه من الله تعالى إلى نبيّه الكريم يأمره بتوجيه هذا الخطاب إلى المشركين وأمثالهم من الكافرين، لكن الشيخ يرى «أنّ كلّ أحد تبنى أعماله على مذهبه وطريقته، التي هي من خلقه وطبيعته»[2]، ما يعني أنّ ما يستفاد من الآية يدخل فيه الجميع.

أما في قول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾[3] فقد بيّن المراد من الفعل "قل" على أنّه أمر بما يرد قولهم الأول، وقولهم الثاني، غير أنه قصد إلى الإيجاز وعدم التكرار، باكتفائه بأن جعل الوصف مع القول الأول، وذكر الدليل مع القول الثاني.[4]

فالمراد من هذا الخطاب أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالردّ بالقول على أصحاب هذه الدعاوي والأباطيل .

ويوضّح الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾[5]، إذ يأمر الله تعالى نبيّه الكريم أن يبيّن سبيله بيانا عاما للناس، بيانا يصيّرها مشاهدة بالعيان فقال له: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾، [6]

---

[1] المصدر السابق ص149.

[2] المصدر نفسه، ص 150.

[3] الفرقان(6-4)

[4]تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 157-160.

[5] يوسف(108).

[6]تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 313.

أما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [1]، فهو يبيّن أنّ الله أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى سبيل ربه، بالحكمة والموعظة الحسنة، والغرض نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، حيث أمر الله نبيه الكريم باجتناب الكلمات الباطلة و القبيحة لأهل الباطل وطوائفهم الملتوية والمتناقضة وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة البريئة، وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والرجاحة والوقار.[2]

وهذه الآية – على رأي الشيخ– تبيّن الطريقة المحمودة المشروعة في الجدال، وعلى الوجه المذكور: أمر الله بالدعوة والجدال على الوجه المذكور، فكلاهما واجب على المسلمين القيام به، والمقصود بالذات هو الدعوة، أما الجدال فهو غير مقصود بذاته إلا عند وجود معارضة بشبهة ... فالدعوة بوجهيها أصل قائم دائم.[3]

ويستنتج ابن باديس الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾[4]، حيث يأمر الله المؤمنين إذا كانوا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع ألا فارقوا مجلسه كلهم أو بعضهم إلا بإذنه.

كما أمر نبيه أن يستغفر لهم، فقد يكون العذر دون الاضطرار. فالآيةتشتمل على حكم وجوب الاستئذان، وفي قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ

[1] النحل (125).

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 318–325

[3] المصدر نفسه،325.

[4] النور (62–63).

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ فقد بيّنت هذه الآية وجوب تلبية دعوته عليه الصلاة والسلام، كما حذّرت من فعل التسلل، وأوعدت الوعيد الشديد للمخالفين.[1]

أما النهي فقد تنبّه له في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[2]؛ ففي هذه الآية ينهى الله تعالى نبيه عن أن يعجل بقراءة القرآن عند سماعه من جبريل، من قبل أن يقضى ويتمم إليه وحيه.والآية عموما هي أدب عام على المتعلّم والمناظر والقارئ الالتزام به.[3]

يعدّ **الاستفهام** من الآليات اللغوية التداولية ذات الوظيفة التوجيهية، التي يستعملها المرسل لتوجيه المرسل إليه إلى ضرورة الاستجابة، بالسيطرة على مجريات الأحداث بما فيها ذهن المخاطَب، والهدف من هذا تسيير الخطاب وُفق ما يريده المتكلم، ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿ أتصبرون﴾، حيث جاء الاستفهام هنا بمعنى الأمر أي: اصبروا فخرج الأمر في صورة الاستفهام للتنبيه على قلة الصبر في الوجود؛ فهو من الأمر المعدوم الذي يسأل عنه: هل يوجد؟ وفي هذا كما يعبّر ابن باديس بعث للهمم على تحصيله والتمسّك به.[4]

يتّضح من هذا ما أكّده جمهور المفسّرين والأصوليين من اعتبار الاستفهام ينتقل بين الخبر والإنشاء حسب السياق وقصد المتكلم وغرضه من المخاطب.[5] فالتنبيه على قلة

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 334-336.

[2] طه (114).

[3] ينظر تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ،ص343-344.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص166.

[5] ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي،ط1957،1،ج2، ص327-347.

الصبر في الوجود هو المقصود وراء هذا الاستفهام وهو الباعث على فعل الطلب(اصبروا) المتضمن في قوله: أتصبرون؟

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾، [1]يوضّح ابن باديس أنّ: (مالي لا أرى؟) استفهام عما حصل له فمنعه من رؤية الهدهد، أما (أم كان من الغائبين؟) فهو استفهام عن غيبته(الهدهد)، وفيه هنا تعريض عن قبح صنيعه (غيبته)، وبهذا تطلّب سليمان – عليه السلام– ما غاب عنه من أحوال الطير، ثمّ الدافع الذي جعل الهدهد يتغيّب.[2]

ومن اللطائف اللغوية التي نقلها الشيخ في تفسيره للآية هي: سؤال سيدنا سليمان عن حال نفسه منكراً إياها في سؤاله الأول (مالي لا أرى؟) كونه راع عليه، فتفقّد نفسه أوّلا في حالة الشكر ولأي شيء سُلبت منه النعمة؟[3]

أما **النداء** فيعدّه أغلب العلماء العرب إنشاء طلبيا؛ فهو على حد تعبير الزركشي: « طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرف مخصوص، وإنّما يصحب في الأكثر الأمر والنهي»[4]، ويتجلى هذا في قوله تعالى على لسان النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾. فهذا النداء كما عدّه ابن باديس للتّنبيه و الإرشاد إلى طريق النجاة بأمرهم الدخول في مساكنهم، وتحذيرهم من الهلاك بحَطْمِ سليمان وجنوده لهم عن غير شعور منهم لأن لا يقع عليها اللّوم.[5] وفي هذه الآية يظهر جليا مصاحبة النداء لفعل الأمر .

---

[1]سورة النمل(20)

[2]تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ،ص266.

[3]ينظر: المصدر نفسه،ص 267.

[4] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957 م، ج2، ص 323.

[5]ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ،ص262.

ويظهر النداء أيضا مصاحبا للأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [1]، إذ لأهمية المأمور به قُدّمت جملة النداء قبل جملة الأمر، وهذا المأمور به مما يجب على الرسل تبليغه لهذا نودوا بلفظ(الرسل)، كما أنهما (النداء والأمر) عامان لجميع الرسل لأن كلّ واحد منهم أوحي إليه به.[2]فهنا الخطاب من الله تعالى موجّه للرسل وللمرسل إليهم بأن يأكلوا من الطيبات التي هي بمعنى الحلال، وهذا الأمر باعث لهم على الامتثال به لأنه يحقّق لهم المنفعة المرجوة منه.

وقد لا يصحب النداء لا أمر ولا نهي وإنما يأتي لغرض آخر يفهم من السياق، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾[3]، ففي قوله: يا رب، إظهار لعظيم التجاء النبي صلى الله عليه وسلم، وشدة اعتماده، وتمام تفويضه الأمر لمالكه وموالي الإنعام عليه، وهو (النبي) في قوله هذا يشكو ربّه صدّ قومه وتركهم للقرآن وثبوتهم على هذا الترك والهجر، وهذا من أصعب الأمور وأبغضها لديه، وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى" وعيد" كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابة لشكوى نبيّه.[4]

فالغرض الذي أنشئ من أجله هذا النداء هو الشكوى على ما يلقاه النبي من قومه وغيرهم(قريش واليهود)، وهو لا يقصد منه طلب الإقبال وإنما يعبّر به عن ما ينتابه في نفسه.

أما قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾[5]، فهو –على

---

[1] المؤمنون(51)

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص354.

[3] الفرقان(30)

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص172–173.

[5] المائدة (15).

رأيه– نداء تشريف وتعظيم، لأنهم (أهل الكتاب) أضيفوا للكتاب، وفيه بعث لهم على قبول ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم، واحتجاج عليهم بأنّ الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به النبي الكريم لأنه من جنسه.[1]

ففي هذا النداء يظهر طلب المرسل(الله) من المرسل إليهم(قريش واليهود) قبول ما جاء به آخر الأنبياء والرسل، لأنهم أهل كتاب وهم أحرى بهذا الأمر لاطلاعهم عليه فيما حرّفوه من تنزيل.

يعتبر**التحذير** من آليات التوجيه كذلك، لأن من خلاله يتم استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة، الشيء الذي يضفي على الخطاب طابع الصراحة فيلقى قبولا لأنّ المرسل إليه دُلّ إليه على صدق المرسل في التوجيه.[2]

يتم إنجاز فعل التحذير بأساليب من باب النصح الضمني للمرسل إليه؛ لأن حق التحذير أن يكون للمخاطَب[3]، ويعرّف على أنّه: « تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه»[4]، وقد عدّه جمهرة النحويين من قبيل الإنشاء الطلبي، وميّز الرضي بين آلة التحذير وعمل التحذير، فآلة التحذير لفظ أو صيغة يتلفّظ بها المتكلّم فيحذّر بها، أما فعل التحذير فهو العمل الذي ينشئه ويصنعه بتلك الآلة .[5]

فإذا تلمّسنا هذا المعنى في تفسير ابن باديس فلا نكاد نحصل إلا إلى على إشارات طفيفة سواء في هذا المعنى أو ما يدخل ويندرج ضمن هذا الفعل.

---

[1]ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص328.

[2]ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 355.

[3]ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

[4]الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ص 152.

[5]ينظر شرح الراضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق يحي بشير المصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ق02، ط01، مج1، ص1101–1102.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، يشير ابن باديس إلى أن الله حذّرنا من كيد الشيطان حتى نحترز منه إذا تكلّمنا وإذا سمعنا فنتباعد عما فيه احتمال السوء فضلا عن صريحه، ونحمل الكلام على وجهه الحسن عند احتمالنا له ونتجاوز عن سيئه الصريح[2]، وهو هنا يشير إلى عمل التحذير، أما آلته فلم يشر إليها، ولعل ذلك يظهر من سياق الآية بتكرار التوكيد (إنّ الشيطان) .

كما قد يأتي التحذير بذكر لفظه صريحا، من هذا قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[3]، فالمقصود هنا اجتناب أولئك المخالفين لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، هذه الفتنة وهذا العذاب، و يحذروا منهما، وما ذلك إلا بترك المخالفة والإقلاع عنها .[4]

ففعل التحذير هنا الغرض منه توجيه المرسل إليه إلى اجتناب ما ليس في منفعته أو مصلحته، وفيه وعيد أيضا بحلول الفتنة والعذاب الأليم إن لم يمتثلوا لهذا الأمر .

قد تختلف صيغة التحذير عن الغرض كما بيّن ابن باديس أنّ المقصود الأساسي من قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾[5]، هو تحذير الخلق من الهلاك وترغيبهم في النجاة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالفرار إلى الله، وقد جاء الفعل بصيغة الأمر.

---

[1] الإسراء(53).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص115.

[3] النور(63)

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص336-337.

[5] الذاريات(50).

لا يعتبر أسلوب التحذير الأسلوب الوحيد الذي يحمل بعدا إنجازيا المبحوث في المدونة، وإنما هناك أيضا أسلوب **التحضيض**، الذي يستعمله المرسل لتوجيه المرسل إليه إلى فعل شيء في المستقبل، والدافع من هذا أنّ هناك فعلا سبق أن قام به المرسل إليه في الماضي، غير أنه كان من وجهة نظر المرسل عملاً يشوبه النقص قاصرا على ما هو متعارف عليه؛ وبالتالي يستعمل المرسل التحضيض لتوجيه المرسل إليه، وهو: الطلب بشدة وعنف، ويظهر غالبا في صوت المتكلم، وفي اختيار كلماته جزلة قوية.[1]

أما أدواته في العربية تتجلى في: هلاّ، لولا، ألاّ، لوما، وأحيانا لو[2]، وإذا رجعنا إلى الآيات المبثوثة في المدونة فإننا نجد ذلك حاضرا؛ ففي قوله تعالى (حكاية عن الكفار): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[3] يفصّل ابن باديس في التحضيض، إذ تأتي (لولا) على هذا المعنى(التحضيض) إذا قُرِنت بالمضارع، نحو: لولا تستغفرون الله، أما إذا كانت مع الماضي فهي للّوم والتوبيخ، وهي في هذه الآية بما أنّها قد قرنت بالماضي؛ فهي للّوم على عدم حصول المذكور وحصول ضدّه، والمقصود من اللّوم الاعتراض على عدم نزوله جملة واحدة، ونزوله مفرّقا.[4]

يدخل أيضا في الأفعال الكلامية ربط إنجاز الفعل بوعد أو وعيد، إذ يحمل المرسل من خلاله المرسل إليه إلى الامتثال إلى الفعل الموجّه له، ونمثّل لهذا من المدونة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾[5]، يوضّح الشيخ (رحمه الله) أنّ هذه السنّة التربوية في القرآن من أنجح الطرق فيه، حيث تجعل المأمور

---

[1] ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، د/ أحمد المتوكل، ص71.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص358.

[3] الفرقان(32).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص177.

[5] الفرقان(69-68).

والمنهي يتمثّل للأمر والنهي من كل نفسه، ويعمل لتنفيذهما بعقله وإرادته، وفي هذه الآية بعدما ذكر تعالى نفي تلك المعاصي عن عباد الرحمان (وهي تفيد النهي عنها) ذكر وعيده هذا لبيان سوء عاقبتها وقبح أثرها.[1] إذ الواضح من هذا مدى الترابط بين الآيات، فدلالة السابق اقتضت النهي عن المعاصي ضمنا، أما ما لحقها فبيّن و أكّد قبحها وخطورتها وسوء العقاب لفاعلها.

و في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[2]، يشير ابن باديس إلى أنّ(عسى) في هذه الآية هي من الله تعالى على الوجوب، لأنّ إطماعه تعالى لعباده في الجزاء على أعمالهم هو من وعده لهم، كما بيّن أنّ الخطاب في الآية لم يوجّه خصّيصا للنبي صلى الله عليه وسلم – وهو راجح عنده– لأنّ الآية جاءت تحثّ وترغّب على قيام الليل للعموم، وفيها وعد للنبي الكريم بالمقام المحمود.[3]

و إن كان الترجي هو الظاهر من الآية، وهو الذي عرّفه الجرجاني على أنه: « إنشاء إمكان حدوث أمر ما»[4]، والمفهوم منه اعتقاد حصول أمر أو إمكانه؛ فهو من بين القضايا التي اعترضت الباحثين، إذ هناك بعض المعاني التي تحصل في قوله تعالى(الخطاب القرآني)، غير أنها لا تناسب ذاته تعالى وصفاته.[5]

يعتبر **الدعاء** من الإنشاء الطلبي غير أنّ اللغة لم تفرد له نمطا خاصا يتمّ به، بل جُعل شركة بين طائفة من الأنماط التركيبية، وللمتكلم الخيار بين الأسلوب المراد للتعبير عن الدعاء، وقد تنبّه ابن باديس إلى هذا الغرض في قوله تعالى في آيات وصف عباد

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص222–223.

[2] الإسراء(79).

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص137–140.

[4] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني ، ص98.

[5] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد صوينت، ص142–144.

الرحمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾[1]، فجملة (ربنا اصرف) دعائية، وهي مفصولة عن جملة (إن عذابها)، وهي تعليل لها، أما جملة(هب لنا، و اجعلنا)، فهي من سؤالهم وطلبهم الله أن يهب لهم أزواجا وذرية، تقر بها أعينهم، وكذا سؤالهم أن يكونوا على أكمل حال في العلم والاستقامة.[2]

فالدعاء طلب يرجى حصوله، وقد استُخدمت فيه هنا بصيغة الأمر(افعل).

ويعدّ **القسم** (الذي هو الحلف أو اليمين) من بين الأساليب الواردة في القرآن الكريم، وقد اختلف في شأنه النحاة أهو خبر أم إنشاء؟، إذ تمّ تصنيفه إلى قسمين:

- قسم السؤال: ما كان جوابه متضمنا طلبا، وغرضه الإلحاح في الطلب.
- قسم الإخبار: ما قُصِد به توكيد جوابه، والغرض منه تأكيد الخبر.[3]

لقد أدرج ابن باديس قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ ﴾[4]، حيث يقسم الله في هذه الآيات بالقرآن الحكيم على أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين، [5] ضمن القسم الثاني لأنه ردٌّ من الله تعالى على من أنكر أنّه نبيٌّ مرسلٌ.

مما سبق يتّضح أنّ ابن باديس استثمر مفهوم الفعل الكلامي بمختلف أبعاده، وذلك من خلال تحليله وتفسيره للنص المبين، ويدل على هذا معرفته (رحمه الله) بمختلف الظواهر اللغوية والأسلوبية، وكل ما يخص اللغة في الاستعمال...

---

[1] الفرقان(74-65).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 200-237.

[3] ينظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة(دراسة دلالية ومعجم سياقي)، د/ علي محمود حجي الصراف ، ص 114.

[4] يس (3-2).

[5] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص292.

و من خلال تحليله يتجلى مدى اهتمامه البالغ بالمتلقي (المرسل إليه) بتنبيهه إلى الفائدة المرجوة من الخطاب القرآني، لأنه اتّخذه وسيلة لبث روح الإصلاح في مجتمعه آنذاك.

4.ظاهرة الإستلزام الحواري في تفسير ابن باديس

1/مفهوم الاستلزام الحواري وأهم مبادئه

يعتبر الإستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، وقد نشأ البحث في هذا الموضوع إلى أحد فلاسفة مدرسة أكسفور الذين ينتمون إلى فلسفة اللغة العادية، وهو بول غرايس، P.Grice فقد ألقى سنة 1975 محاضرة بعنوان « المنطق والحوار»، حاول من خلالها أن يضع نحواً قائماً على أسس تداولية للخطاب تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب.

انطلق « غرايس» من الفكرة التي مفادها أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وكثيراً ما يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون؛ فجعل كل همة البحث في الاختلاف بين ما يقال وما يقصد وإيضاح الفرق بينهما، [1]فقد أكد غرايس أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات لذا اقترح مايلي:

أ- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع.

ب- المقام الذي تنجز فيه الجملة.

ج-مبدأ التعاون Principel de Coroperation:[2]

من خلال هذا يصبح التأويل الدلالي لا يكفي إذا روعي فقط أمر المعطيات الظاهرة، ما يتطلب تأويلاً دلالياً آخر يتم من خلاله الانتقال من معنى صريح (مباشر) إلى معنى غير صريح (غير مباشر) أو مستلزم حوارياً هذا المعنى يعدل إليه المتكلم بحسب المقام، فينشأ عنذاك معنى حرفياً وآخر مستلزماً.

---

[1]ينظر: أفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص 32-33.

[2]ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011، ص 17-18.

يأتي الاستلزام عند «غرايس» في نوعين هما: الاستلزام العرفي Conventional implicature والاستلزام الحواري concerssational implicature استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تخرج عنها مهما اختلف السياقات وتنوعت التراكيب، ومثال هذا لفظ « لكن » الذي يستلزم دائماً أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقفه المتلقي نحو: زيد لديه رخصة سياقة لكن هو مشلول. أما الاستلزام الحواري فهو متغير بتغير السياقات التي يرد فيها.[1]

يمكن القول بأن أهم ما يميز الاستلزام الحواري هو مقصد المتكلم؛ حيث يمكن للكلام أن يتحول من حالة إخبارية إلى استفهام مثلا من خلال ما يقتضيه الكلام في سياقات متعددة.

لهذا فالمتوكل يرى أن هذا المصطلح (الاستلزام الحواري) في التداولية يعود إلى كون « معنى جمل اللغات الطبيعية، إذا روعي ارتباطها بمقامات انجازها لا ينحصر فيها بذل عليه صيغها الصورية من (استفهام) و(أمر) و (نهي) و(نداء) إلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل».[2]

يشكل مبدأ التعاون العمود الفقري للمحادثة عند « غرايس» ذلك أن التعاون يضمن للمتكلمين التواصل وحق التناوب على الكلام، إذ يفرض هذا المبدأ على المتحاورين احترام القواعد التي تواضعوا عليها.[3] فمن خلاله يمكن تفسير كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر وهمو ما سنفضّله في مبادئ الاستلزام الحواري.

---

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص 33.

[2] دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1406هـ/1989م، ص 93.

[3] ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2012م، ص 71.

لعل أبرز التعريفات التي قدمت للاستلزام الحواري أنه « يعني عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزء مما تعنيه الجملة بصورة حرفية».[1]

من خلال هذا التعريف يمكن الاستعانة بمثال: ناولني الكتاب من فضلك فإنجاز هذه العبارة اللفظية في مقام معين يمكن لمعناها أن يخرج من الطلب (الأمر) إلى معنى الالتماس انطلاق من القرينة اللفظية (من فضلك)

مبادئ الاستلزام الحواري:

تقوم العملية التواصلية على مجموعة من القواعد والمبادئ التي تضمن نجاحها بين المتكلم والمستمع ويمكن إيجازها فيمايلي:

1-مبدأ التعاون:

يشكل هذا المبدأ العمود الفقري للمحادثة عند « غرايس»، ذلك أن التعاون يضمن للمتكلمين التواصل وحق التناوب على الكلام، فيفرض هذا المبدأ على المتحاورين احترام القواعد التي تواضعوا عيها في لغتهم.[2]

يشرح « غرايس» هذا المبدأ باقتراح أربع قواعد متفرعة عنه وهي:

أ- قاعدة الكم: تضمن هذه القاعدة مساهمة المتكلم بحد من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام دون زيادة.

ب-قاعدة النوع: تفرض هذه القاعدة نزاهة المتكلم الذي ينبغي ألا يكذب وأن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يقوله.

ج- قاعدة الملاءمة: وتكمن في أن تكون معلومات المتكلم واسهاماته ملائمة للحوار لا تخرج عن الموضوع.

---

[1] النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، د. صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع 25، 1426هـ/2005م، ص 79.

[2] ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د: قدور عمران، ص 71-72.

د- قاعدة الجهة: من خلالها يكون المتكلم واضحاً ومنظماً، يتجنب الغموض، ويخاطب الناس على قدر عقولهم وخلفياتهم المعرفية.[1]

الواضح أن هذه القواعد تحقق مبدأ التعاون بين المتكلم والسامع، حتى يصلا إلى حوار ذا نتيجة مثمرة، وللتوضيح نأخذ مثالاً ضربه الدكتور محمود نحلة بين الزواج (أ) والزوجة (ب):

أ. أين مفتاح السيارة؟

ب. على المائدة.

فمن خلال هذا الحوار القصير نلاحظ تحقق مبدأ التعاون بمختلف القواعد المتفرعة عنه؛ فالزوجة أجابت إجابة مختصرة بالقدر الكافي من الكلمات (الكم) وكانت صادقة في قولها (النوع)، ولم تخرج عن الموضوع المطروح(الملاءمة)، ثم إنها كانت واضحة في كلاهما (الجهة) لهذا لم يتولد عن قولها أي استلزام لأنها معنى العبارة هو ما قصدته بالضبط.

يقرّ « غرايس» أن قواعد مبدأ التعاون كثيراً ما تنتهك، وهو ما قامت عليه هذه النظرية؛ فبانتهاك قواعد مبدأ التعاون ينشأ الاستلزام، الذي يتميز ببعض الخواص ومنها:

1. إمكانية إلغاء، وذلك بإضافة مصاحبات لفظية تسد الطريق أمامه، فإذا قالت طالبة مثلاً لكتاب: لم أقرأ كل كتبك، فقد استلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، لكن إذا أعقبت قائلاً: الحق أنني لم أطلع على أي عنوان منها، فقد ألغت الاستلزام، ولعل هذه الإمكانية أهم ما يمكن المتكلم من إنكار ما يستلزم، ولعل هذه الإمكانية أهم ما يمكن المتكلم من إنكار ما يستلزمه كلامه.[2] فألفاظ مثل: لم، لن، أبداً قد تستعمل

[1] ينظر: النص بين الدلالة والتداول، عمر معراجي، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2ط، 2012م، ص 188-189، ينظر: النظرية القصدية في المعنى، د. صلاح إسماعيل، ص 87-88.

[2] ينظر: الاستلزام الحواري في سورة النساء: دراسة تحليلية لآليات الخطاب والتأويل القرآني لدى الزمخشري، حنان جابر الحارثي، ص 352.

لإلغاء الاستلزام إذ هي من المصاحبات اللفظية التي يمكن للبات استعمالها فيخ طابه للإلغاء التواصل بينه وبين المتلقي.

2. الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي: كونه متصلاً بالمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية، إذ هو لا ينقطع باستبدال مفردات أو عبارات بأخرى مرادفة لها، فمثلاً إن قالت الأم لا بنها: هل نظفت أسنانك؟ فيرد الابن: لم أرغب في النوم، فعلى الرغم من تغيير الصياغة في الإجابة إلآ أن الاستلزام الحواري لا زال قائماً، ما يدل على عدم وجود رغبة من الابن في غسل أسنانه.[1]
3. الاستلزام متغيّر: فهو حسب السياق الذي يرد فيه فمثلاً لفظة (اليوم) يدل على ذات اليوم وأيضا هي دالة على هذا العصر؛ فالسياق الذي ترد فيه هو الذي يحدد دلالها.
4. الاستلزام الحواري يقدّر: انطلاقاً من أن المتلقي يستعمل بعض التقديرات والتقريبات، لكي يقترب من الحقيقة المرجوة خطوة بأخرى حتى تتكون الخبرة لديه والتي هي من التطلعات المعرفية التي تتطلبها الدراسة التداولية.[2]

إلى جانب مبدأ التعاون، يقوم الاستلزام على مبادئ أخرى أهمها:

2/مبدأ التأدب:

لقد ظهر هذا المبدأ انطلاقاً من الانتقادات التي وجهت «لغرايس» من خلال مبدأ التعاون الذي ركزّ من خلاله فقط على ضبط الجانب التبليغي من التخاطب، وأغفل جانبه التهذيبي، وقد أوردت هذا المبدأ « روبين لاكوف» في مقالتها « منطق التأدب» الذي يقتضي من خلاله أن يكون المتكلم متلزماً مع مخاطبة التعاون على تحقيق الغاية التي دخلا من أجلها في الكلام. إذ تحكم هذا المبدأ قواعد ثلاث تتمثل في:

أ/ قاعدة التّعفّف: مقتضاها ألا يفرض المتكلم نفسه على المخاطب.

ب/ قاعدة التّشكّك: وتقتضي أن تجعل المخاطب يختار بنفسه.

---

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص 38.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 39-40.

ج/ قاعدة التودّد: وتقتضي إظهار الود للمخاطب.[1]

لقي هذا المبدأ أيضاً انتقادات منها: إهمال اللغوية « لا كوف» للوظيفة العملية والاصطلاحية في قواعدها، السبب الذي نشأ عنه مبدأ آخر هو.

3/مبدأ التواجه واعتبار العمل:

ويقصد به مقابلة الوجه للوجه، حيث ورد مضمون هذا المبدأ عند « براون» وليفنس» في دراستهما المشتركة (الكليات في الاستعمال اللغوي، ظاهرة التأدب).

يرتكز هذا المبدأ على مفهومين أساسيين هما:

أ)مفهوم الوجه: ويقصد به الذات التي يدّعيها المرء لنفسه، ويريد أن تتحدد بها قيمته الاجتماعية، وله ضربان:

1/إدارة دفع الاعتراض، فهذا المرء يريد أن لا يعترض غيره سبيل أفعاله.

2/ إرادة جلب الاعتراف ومن خلاله يتم اعتراف المخاطب بأفعال المتكلم.

ب) مفهوم التهديد: وهي الأقوال التي تعيق بطبيعتها إرادات المستمع أو المتكلم في دفع الاعتراض، وجلب الاعتراف.

لم يسلم هذا المبدأ من الانتقاد كسابقيه من المبادئ، على الرغم من محاولات اللغويين « بروان و ليفينس» تدارك النقص الوارد في مبدأ التأدب، ولعل أهم ما وجه له من انتقاد هو: تضييق العمل المقوم للتهذيب وحصره في وظيفة التقليل من تهديد الأقوال.[2]

الملاحظ لهذين المبدئين أنهما لا يخرجان عن الإطار العام لمبدأ التعاون؛ ذلك أنهما يهدفان إلى تحقيق الفعالية القصوى في العملية التواصلية والوصول بها إلى ما يمكن التعبير عنه بالمثالية والشفافية.

---

[1] ينظر: المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية، كادة ليلى، ص130-132.

[2] ينظر: سمية عامر، الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م2، ع3، 2019م، ص 30-31.

لا يمكن أن نغفل إسهامات العلماء العرب بمختلف اتجاهاتهم (بلاغة، أصول الفقه، التفسير...) في الإشارة لهذا الموضوع في مؤلفاتهم، وإن كانت متناثرة ولا ترقى لدرجة الضبط المعرفي مقارنة بما وصلت إليه العلوم الحديثة من تأطير للموضوعات وتنسيقها بشكل يجعلها واضحة للمتلقي.

إذا التفتنا إلى قضية المعنى وجدنا أنها شغلت الذهن اللغوي قديماً وحديثاً؛ فقد فرّق علماؤنا في استعمال العبارات اللغوية بين ما يسمونه استعمالاً حقيقياً، واستعمالاً غير حقيقي، باعتبار بعض الأبنية أصولاً تستخرج منها أبنية فروع، والنقطة الفاصلة بين المعنيين الصريح والمستلزم أن المعنى الصريح تدل عليه العبارة بلفظها، بينما المعنى المستلزم تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معينّ.[1]

وعليه حتى نبحث هذا الموضوع في تفسير ابن باديس نمهد له بإبراز وعي علماء الأصول لذلك، ومن ثم نسقط هذا المفهوم على تفسير في مجالس التذكير.

شغلت قضية الإبلاغ التواصلي فكر الأصوليين وبالهم، ولأن معرفة اللغة العربية والعلم بها شرط أساسي لفهم النصوص واستنباط الأحكام، ولما كان قول الله عز وجل هو أصل هذه الأحكام، كان العلم بخطأ به أحرى؛ فقد دأب علماء الأصول إلى كشف وجوه العلاقات بين صاحب الخطاب (الله تعالى) والمخاطب (العباد) وتعدى هذا نظرهم إليه في نطاق استعماله وتداوله.

ينقسم الكلام عند الأصوليين إلى: أمر ونهي وخبر واستخبارك، وهذا الكلام هو مضمون خطابه تعالى للمكلّفين، ثم إن التكليف وفهمالتكليف، والعمل بالتكليف، هي قضايا إبلاغية تواصلية تتم عبر اللغة وتنتمي إلى الشرع، فإن العملية التواصلية عند الأصوليين تقوم على أركان يمكن إجمالها فيما يلي: [2]

---

[1] ينظر: كادة ليلى ،ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي الوادي، ع1، ربيع الأول: 1430هـ/ مارس 2009م، ص 106.

[2] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص 42.

- الركن الأول: الخطاب وهو الحكم نفسه.
- الركن الثاني: الحاكم وهو المخاطب (الفاعل).
- الركن الثالث: المحكوم عليه وهو المكلف أو المخاطب وله شروط منها (العقل).
- الركن الرابع: الفعل، وله شروط حتى يدخل تحت التكليف منها: صحة إرادة إيقاعه طاعة، وجواز كونه مكتسبا للعبد.[1]

إن تقرير حكم من الأحكام ليس بالأمر اليسير، الشيء الذي جعل علماء الأصول يوجهون عنايتهم إلى معرفة قصد المتكلم وتحديد مرماه، لهذا فتحديد قضية الإبلاغ التواصلي عند هؤلاء هو نفسه تحليل لعملية الفهم في ميدان الشرع، لأن مهمتهم لا تقف عند حدود تعريف الكلام وغير ذلك من مقدمات عمله، بل لا بد من فهم للخطاب لأجل الاستدلال به على الأحكام، وحتى يصح هذا الاستدلال لابد من معرفة ما يفيده هذا الخطاب.[2]

تعتبر القصدية من بين مؤشرات المعنى، التي يتم من خلالها إفراز الدلالة الخاصة بالنص؛ فلا كلام دون وجود قصد يستلزمه السياق أو المقام.

لا يخرج علماء التفسير في فهمهم للنص القرآني عما رسمه علماء الأصول من قواعد؛ فالمفسر قبل أن يحدّد فهمه للنص الواجب عليه الوقوف على جملة من الأمور التي تعينه وتيسّر فهمه للخطاب؛ فالمناسبة وأسباب النزول والعلاقات بين السور... إحدى أبرز القرائن التي هي من صميم البحث التداولي. من خلالها يتم الانتقال من دلالة الوضع إلى دلالة الالتزام، أي من المعنى الحقيقي إلى المعنى المستلزم، وُفق استراتيجية محدّدة؛ لأن عملية التواصل يشترط فيها وجود علاقة بين اللفظ والمعنى من جهة، وبين المعنى والمراد منه من ناحية أخرى.

[1] ينظر: المستصفى في علم أصول الفقه، أبي احمد الغزالي، ص 66-70.

[2] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص 43.

ثم إنّ النص يشكل محورا هاما في مجال البحث الأصولي ومجال التفسير؛ فقد شكّل القرآن الكريم قطاعا مشتركا بين هذين المجالين، وإن وجدت بعض الفوارق التي لا تكاد تقف حاجزا أمام بحثنا في هذا الموضوع.

لقد سار الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره للنص القرآني على منهج السلف؛ فقد كان آخذا بعلوم بالقرآن والفقه، عالما باللغة نحوها وصرفها وبلاغتها ، عارفا بأحوالها في الاستعمال وما ينجر عن أساليبها من معان فرعية يستلزمها السياق أو المقام وفيما يلي أهم ما كشفناه عن نظرية الاستلزام الحواري في التفسير.

1/ المعاني المستلزمة عن الخبر[1]:

يعدّ الخبر والإنشاء عمدة في الكلام والدلالة، وهما معا يعتبران وسيلة المتكلم للتعبير عما يدور في ذهنه؛ فلكل منهما وظيفته اللغوية، وقد عرفت العرب هذين النمطين التركيبيين الاستلزاميين في كلامها، ويعد القرآن الكريم مصدرا من مصادر هذه اللغة؛ فقد اعتنى علماء التفسير بنص الذكر الحكيم بغية كشف معانيه و أسراره وبيان إعجاز آياته، ومن هؤلاء الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نحى المنحى العملي في بيان القرآن، حتى يصل إلى هدفه الإصلاحي، ورغم هذا إلا أنه لم يخرج عن الإطار العام لمعنى التفسير والغاية منه، والقضايا التي تشغل بال المفسّر والتي منها قضية الاستلزام الحواري، فكيف يمكن للشارع الحكيم قول شيء وقصد شيء آخر؟

من بين المعاني المستلزمة عن الخبر :

1/ معنى التحذير:

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 43- 50.

في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾﴾[1]، في هذه الآية تحذير من الله تعالى لعباده من كيد الشيطان في الكلام والسمع معا.[2]

و في قوله تعالى:﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾[3]،

فسّر ابن باديس الآية ببيان حال الإنسان عند النعمة وحاله وهو يائس من الرحمة، واعتبرها كناية عن الاستكبار وعدم الاكتراث؛ فقد بصّرنا الله بهذين الوصفين الذميمين ليحذّرنا منهما ومما ينجر عنهما من مساوئ وآثام.[4]

2/ الوعد والوعيد:

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ﴾[5]. يبيّن ابن باديس في هذه الآية أنّ جملة (وكان ربك بصيرا) معطوفة على جملة(وجعلنا)، وقد عدل عن مقتضى الظاهر وهو (وكنا بصراء) بالإضمار إلى وكان ربك بصيرا بالإظهار، لبيان أنهة تعالى مطّلع على ما يكون من عباده عند الاختيار ليجازيهم عيه وفيه وعد ووعيد للممتحنين[6]

و وعد تعالى وتثبيته لنبيّه الكريم في قوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[7]، في هذه الآية أخبر الله تعالى بأنه لا يزال القرآن كذلك يدمغ باطل المشركين بحقه

---

[1] الإسراء(53).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ص115.

[3] الإسراء(83).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص148.147

[5] الفرقان(20).

[6] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص166.

[7] الفرقان(33).

ويزهقه، وفيها أيضا طمأنة قلب نبيّه صلى الله عليه وسلّم وتثبيته ووعده بدوام النصر و التأييد.[1]

المعاني المستلزمة عن الإنشاء:

1/ خروج الأمر في صورة الاستفهام:

في قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾[2]، يقول الشيخ أن الاستفهام الوارد في قوله تعالى(أتصبرون؟)جاء بمعنى الأمر أي اصبروا؛ فخرج الأمر في صورة استفهام تنبيها على قلة الصبر في الوجود. فهو من الأمر المعدوم الذي يسأل عنه: هل يوجد؟ وفي هذا بعث للهمم في تحصيله والتمسك به.[3]

2/ مجيء الأمر للإرشاد: جاء هذا في قوله تعالى على لسان النملة:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾[4]؛ فالفعل (ادخلوا) فعل أمر جاء للإرشاد إلى طريق النجاة بدخول المساكن، حتى لا يصيبهم أذى من سليمان عليه السلام وجنوده.[5]

3/ مجيء النهي للتحذير:

ورد الفعل في الآية السابقة (لا يحطمنّكم)؛ فقد نهت النملة بني جنسها من الحطم، و ليس هذا من فعلهم، وإنما الفعل يقع عليهم؛ فيكون المعنى: لا تكونوا خارج مساكنكم

---

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص 182-183.

[2] الفرقان(20).

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 166.

[4] النمل(18).

[55] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس ، ص262.

فيحطمكم، فهي قد نهتهم عن السبب، لكن المراد النهي عن المسبب؛ فكان منها أن حملتهم على الخوف حتى يسرعوا في الدخول، وهذا تحذير لهم من الهلاك بحطم سليمان وجنوده لهم.[1]

إن القارئ لتفسير (في مجالس التذكير) يجد الشيخ ابن باديس قد اهتم بالمعنيين الحرفي، والمستلزم للآيات؛ ذلك أنّ عنايته بالمعنى الثاني هي من صميم علم التفسير، والبحث التداولي.

[1] ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:

الإشاريات وأنواعها في تفسير

(في مجالس التذكير)

الفصل الثاني: الإشاريات وأنواعها في تفسير (في مجالس التذكير)

1.مفهوم الإشارية:

تحتل الإشاريات في ميدان تحليل الخطاب أهمية بالغة؛ ذلك أنها تربط بين البنية التركيبية للغات والسياقات التي تستخدم فيها. ويقصد بها كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن، وهي في مفهومها ترتبط مع مفهوم المشير الذي يفهم منه عادة تعيين مكان وهوية الأشخاص والأشياء والعمليات والأحداث والأنشطة...، بالنسبة إلى السياق المكاني- الزماني الذي أنشأناه وأبقاه عمل التّلفظ، ويتأرجح اللسانيون بين ثلاث تصورات للإشاريات :

1) الإشارية من حيث كونها تردّ أشياء العالم إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان وفي الزمان، وباعتباره موفّراً أمارة لمرجع قد تكوّن بعد.
2) الإشارية باعتبارها نمطا تركيبيا مرجعيا لا يفصل بين الجهة وحدث المرجع .
3) الإشارية باعتبارها عامل تناسق نصي (محورة، تبئير)، تمكن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب .[1]

من هنا يتّضح دور الإشاريات في كونها أدوات لها أهميتها البالغة في تحديد دلالة النص أو الخطاب؛ ذلك أنها تعتبر عاملا من عوامل التناسق النصي .

يوضّح "الأزهر الزناد" مفهوم(الإشارة) بقوله: « هو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه ؛ من ذلك: "الآن" "هنا" هناك" "أنا" "أنت" "هذا" "هذه" ...»[2]

[1] ينظر : معجم تحليل الخطاب ،ص156-157.

[2] نسيج النص، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1993، ص116.

يوضّح هذا المفهوم ارتباط مفهوم الإشارة بالإحالة التي لها دورها في اتساق النص وانسجامه، حيث تتعدد أنواعها ووحداتها إلى: ضمائر المتكلم وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان .

وتلتقي عناصر الإشارة في مفهوم التعيين أو التوجيه و الانتباه إلى موضوعها المشار إليه، وهي تنظّم الفضاء انطلاقا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو (الأنا)، ويكون هذا التنظيم وفق عدد من المعايير أو المنقولات، هي المسافة التي تفصل بين المتكلم (المخاطب) من جهة أخرى، فهي موقع المشار إليه من المركز (الأنا)، كما هي حضور المشار إليه أو غيابه، ويتمثل دورها الأساس في تعيين المرجع الذي تشير إليه، وهي بهذا تضبط المقام الإشاري الذي تتعلق دلالتها بعناصره.[1]

فرغم ارتباطها بمرجع إلا أنه غير ثابت ومحدد، كما أنه ليس لها أي معنى في ذاتها لأن مدلولها لا يتضح إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين، لهذا يتفق النحاة على تسميتها بالمبهمات. ويتحدد دورها أيضا وأهميتها في بنية الخطاب نحويا ودلاليا؛ فالمرسل يستثمر هذه العناصر (الإشارية) في الخطاب، الذي يجري بينه وبين المرسل إليه عندما يمدّه في نسيج يتجاوز في كُلِّيته الجملة الواحدة؛ فتصبح فائدتها الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفّظ بها أحدهم، والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة، كما لا يقف دورها في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز ذلك إلى الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به .

فالإشاريات نوعان: ظاهرة في الخطاب و أخرى كامنة في بنيته العميقة لا يصرّح بها المرسل؛ لأنّه يعلم أنّ المرسل إليه لديه الكفاءة التداولية لاكتشافها.

اهتمت اللسانيات التداولية اهتماما بالغا بالوظيفة المرجعية، كونها تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف، لذلك يرى "رومان جاكبسون" أنها أساس كل تواصل، كما سعى لتصنيفها ضمن الوظائف اللغوية الستة، فهي تحدّد العلاقة بين المرسل والغرض أو الشيء

[1] ينظر: المرجع السابق، ص116.

الذي تشير إليه، فهي من أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل.[1] كما أن أهميتها البالغة تظهر حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض، ويستغلق الفهم، ومن هنا كانت النظريات الدلالية الشكلية عاجزة عن معالجتها، ما أدى إلى ظهور ما أُطلق عليه بعلم الدلالة المقامي، الذي بذلت من خلاله محاولات جادة لإدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي. فأصبحت الإشاريات مجالا مشتركا بين علم الدلالة والتداولية.[2]

لقد تعدّدت المصطلحات المعبّر بها لدى العلماء، فقد أشار "روبرت دي بوجراند" إلى أنها «الألفاظ الكنائية»[3]، وقال عنها "براون ويول" نقلا عن "هاليداي" : « هي الأدوات التي تعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر»[4]، وذهب "الأزهر الزناد" إلى أنها: العناصر الإحالية في اللغة، إذ إنها تأتي تعويضا عن وحدات معجمية (أسماء مفردة أو ما يضارعها من المركبات)، [5]وقصده من هذا ما تشير إليه.

لقد وُضعت هذه الكلمات أو التعبيرات للتواصل المباشر بين الناس قصد معرفة ما غمُض أو ما استغلق عن الفهم منها.

تنحصر دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي في:

-الأنا: المتكلّم أو من يصدر عنه الخطاب.

-الهنا: المكان الذي ينتج فيه الخطاب.

-الآن: الزمن الذي ينتج فيه الخطاب، أو الآونة التي تتم فيها عملية التواصل.

---

[1]ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)، فاطمة الطبال بركة،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط1، 1993،ص67.

[2]ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17.

[3] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: د/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1998م، ص320.

[4] معجم تحليل الخطاب، ص230 .

[5]ينظر: نسيج النص، ص115-116.

-تختص الإشاريات بهذه العناصر الثلاثة في الاتجاه التلفظي، لأن الخطاب الملفوظ يشكّل وحدة غير قابلة للتجزيء، وغياب أحد هذه المكونات يعني غياب المرجع. الذي يتخذ صفة اللاثبات، لأنه مرتبط باللحظة التي أنجز فيها الخطاب.

-كما أن هذه الدراسة لا تهتم بالكفاية اللغوية؛ -لأنها تحصيل حاصل- بل تهتم بالكفاية التواصلية التي يعضدها المكون البلاغي الذي يعوّل عليه في إنتاج مقامات جديدة.[1] وفي لسانيات التلفظ كثير من العناصر التي يجري استعمالها بكثرة في اللسان، هي من قبيل العناصر الإشارية كأسماء الإشارة، المعوّضات (الضمائر...)، أزمنة الأفعال، ألفاظ العنوان...[2]

-يعتبر "آن ريبول" أنّ الإشاريات عناصر متنوعة تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب(أنا/ نحن/ أنتَ / أنتِ/ أنتما/ أنتم/ أنتن) والوحدات الدالة على الزمن(الآن/ غدا/ الأمس ...) والوحدات الدالة على المكان(هنا/ هناك) والأزمنة الفعلية، وتشترك هذه الوحدات في أنّ معناها لا يتحدّد إلا عند الاستعمال انطلاقا من نقطة ارتكاز يجسّمها إلقاء القول. وهو ما يؤكد ما ذهب إليه "الأزهر الزناد" وقد سبق الإشارة إليه.

كما لا بد للعناصر الإشارية أن تتوفّر على شرط الصدق، بوجود مرجع خارجي للعنصر الإشاري، وتطابقه مع مرجعه ووجود حالة الأشياء في الكون هو ما يثبت صدق جملة معينة أو ينفي عنها ذلك، كونها مقيدة بسياق، أي إنّ الحقيقة أصبحت مقيدة بمتكلّم وزمن الكلام والشيء المشار إليه.[3]

وعلى هذا فإنّ الإشاريات تطرح قضية الإحالة وصلة اللغة بما تعنيه عند الاستعمال؛ الشيء الذي يؤكّد وجود تداخل بين الإشاريات والإحالة، وهو ما يوجب التفريق بينهما وإبراز أوجه هذا التقارب والتداخل.

---

[1] ينظر: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، ص89.

[2] ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص133.

[3] ينظر: القاموس الموسوعي للسانيات التداولية، آن ريبول، جاك موشلار، ص110.

2. الإشاريات والإحالة:

تعتبر الإحالة فعلا تداوليا؛ ذلك أنها ترتبط بموقف تواصلي معيّن، ويقصد بها: « العلاقة القائمة بين العبارة اللغوية والشخص (أو الشيء) الذي تحيل عليه في الواقع(العالم الخارجي).»[1]

فالمتكلم يمتلك مخزونا يتصوّره عند التخاطب و وفقا لتقديره للإمكانات التي تتوفر لدى المخاطب، يستعمل الإحالة على ذات معينة يمكن للمخاطب التعرف عليها، كما قد يمكّنه(المتكلم)– المخاطِب– من معرفة الذات المقصودة بأن يقدّم المعلومات التي يمتلكها والتي تجعل المخاطَب ينتقي الذات المحال عليها من بين مجموعة من الذوات، أمّا إذا حصل لبس كأن يزيد المتكلم أو ينقص من المعلومات للتّعرف على ما يُحال عليه، فإنّ عملية الإحالة تصبح فاشلة ويخرج معناها عن حقيقتها إلى أغراض أخرى.[2]

نقول من خلال هذا أن كل من الإشاريات والإحالة بينهما أوجه تقارب؛ فالعناصر الإشارية تفتقر إلى الاستقلال الإحالي لأنها لا تستطيع بمفردها تعيين مرجعها، فهي خالية من الدلالة المعجمية[3]، كما أن الإحالة في ميدان تحليل الخطاب تبرز فائدتها بالنسبة إلى العائدات والإشاريات...، ويعتمد مفهومها على معطيات معجمية، وكثيرا ما يُخلط بين مفهوم الإحالة والمرجع.

فالإحالة هي خاصية العلامة اللسانية أو عبارة متمثلة في الإحالة على واقع، أما المرجع فهو الواقع الذي أشارت إليه الإحالة.[4] و تجدر الإشارة إلى أنّ الإحالة ظاهرة أدخل في التداول منها في الدلالة، إذ إنّها ترتبط بالمقام، خاصة بالمعلومات التي يفترض المتكلّم

---

[1] اللسانيات الوظيفية–مدخل نظري–، د/ أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان،ط2، 2010،ص19.

[2] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، د/ أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، د–ط، 1995م، ص128.

[3] ينظر: القاموس الموسوعي للسانيات التداولية، ص110

[4] ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص474.

وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه حين عملية التواصل.[1]

من بين النقاط التي تلتقي فيها العناصر الإشارية مع العناصر الإحالية:

- الإحالة على مراجع غير محدّدة وغير ثابتة.
- تقابل العناصر الإشارية العناصر الإحالية التي ترتبط بالسياق وما يتعلّق به من ملابسات.

-تتطابق الإشاريات مع الإحالة المقامية التي هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، ومهما تعدّدت وجوه الإحالة فهي تقوم على مبدأ واحد، هو الإتّفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع.[2]

تساهم الإحالة المقامية في خلق النص على رأي هاليداي ورقية حسن؛ لأنها تربط اللغة بسياق المقام، غير أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تساهم الإحالة النصية بفاعلية في اتساق النص.[3] وعلى هذا تنقسم الإحالة قسمين رئيسين هما:

إحالة نصية(داخل النص) وإحالة مقامية(خارج النص)، وتتفرّع الأولى إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، والتخطيط الآتي يوضّح هذا التقسيم:

[1]ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية(دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، د/ أحمد المتوكل، دار الأمان الرباط، ط1، 2010، ص74.

[2]ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص119.

[3]ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي،بيروت لبنان، ط01، 1991م، ص17.

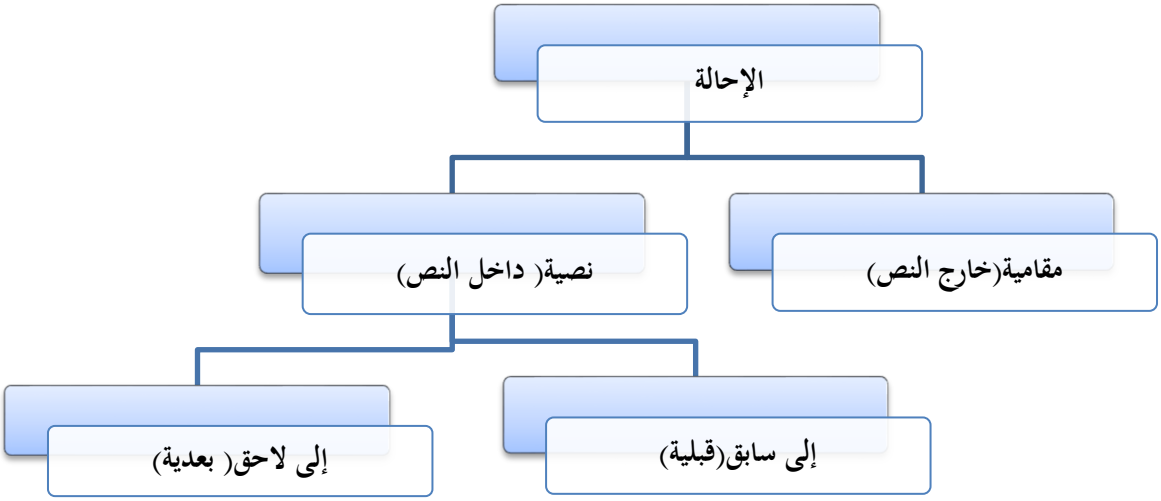

يقصد من وراء الإحالة النصية، الإحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة، إذ تعود الإحالة على –سابق– مفسّر سبق التلفّظ به؛ وفيها يحدث تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، وهذا النوع من الإحالة من أكثر أنواع[1] الإحالة دورانا في الكلام. أما الإحالة على لاحق فهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، وتعتبر الإحالة خارج النص(أو المقامية)عنصرا لغويا إحاليا على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي.

وبهذا يمكن أن نقول أن الإشاريات هي عناصر لغوية تُحيل على مراجع خارجية غير محدّدة، ويمكن تحديدها من السياق، أما الإحالة فهي نوعان: نصية تعود على مراجع مذكورة يحتويها النص، وإحالة مقامية تتطابق مع الإشاريات.

إذا كانت الإشاريات هي عبارة عن عناصر لغوية، فإنه يمكن النظر في أهم الوحدات اللغوية الإشارية والمتمثلة فيما يلي[2]:

[1] ينظر: نسيج النص، ص118–119.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص117–118.

أ- الضمائر:

وهي التي من خلالها يبرز دور الشخوص المشاركة في عملية التلفظ، وهو – الضمير– عند النحاة العرب يمثّل الوحدات الدالة على الشخص، وهو يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة، إذ تتفرّع الضمائر في العربية حسب حضورها في المقام أو غيابها(أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم)إلى فرعين كبيرين: ضمائر الحضور، ضمائر الغياب، ثم تتفرّع ضمائر الحضور إلى متكلّم هو مركز المقام الإشاري (الباث)، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه(مستقبل)، ثم كل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد أقسامها المعروفة، أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد؛ فضمائر الحضور أكثر تفصيلا من ضمائر الغياب.

يختلف نظام الضمائر عن نظام الأسماء فمثلا الضمائر تتميز ببعض السمات الصرفية كانقسامها إلى ضمائر الرفع وضمائر النصب، أما الأسماء فهذا الأمر ينعدم في قسمها.

ب- أسماء الإشارة، ظروف الزمان والمكان:

تحدّد أسماء الإشارة(المكانية، الزمانية) وكذا الظروف الدالة على الاتّجاه، موقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي لا تفهم إلاّ إذا رُبطت بما تشير إليه.

بعد هذه الإشارة الموجزة حول الإشاريات وتحديد مفهومها نحاول انطلاقا من تحديد أنواعها كشف أهم ما أورده ابن باديس عنها في الخطاب القرآني من خلال تفسيره(في مجالس التذكير).

3. أنواع الإشاريات في تفسير (في مجالس التذكير):

1/ الإشاريات الشخصية:

تقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخوص المشاركة في العملية التخاطبية، وهي تلك الدالة على: المتكلم أو المخاطب أو الغائب كما تدخل في الإشارة إلى شخص النداء، وهي بمفردها عاجزة عن تحديد إحالتها الحاصلة عند الاستعمال؛ فقد عدّها "ميلنر" فاقدة الاستقلالية الإحالية.[1]

والضمير اسم غير متصرّف إما أن يكون للغائب أو الحاضر، ثم تتفرّع ضمائر الحضور إلى متكلّم (باث) هو مركز أو محور التلفظ(المقام الإشاري)، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه (متقبّل)، وكل مجموعة منهما تنقسم أقسامها المعروفة.[2] والتخطيط الآتي يوضّح ذلك:

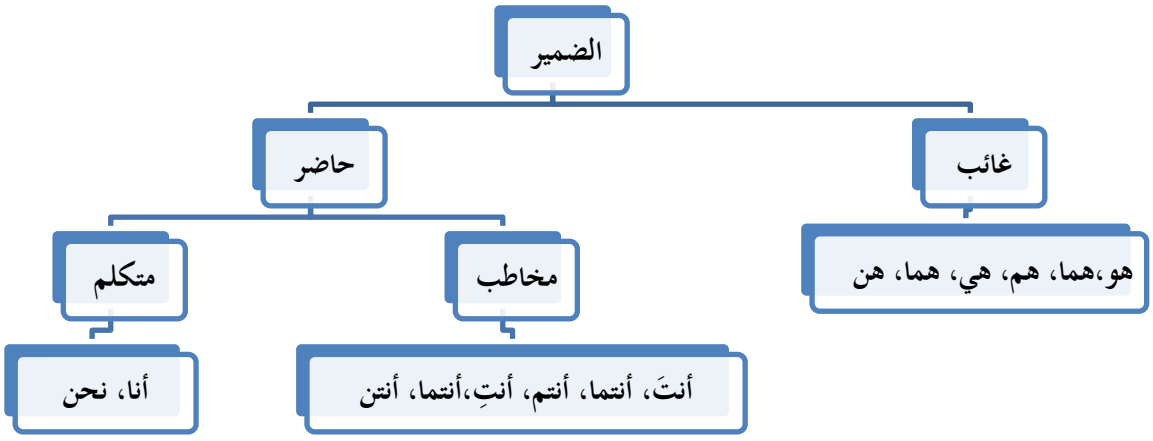

لم يقف العرب القدامى في دراستهم الضمائر هذا الحد وإنما قاموا بتقسيمها إلى متصلة ومنفصلة، وقد عبّر "السكاكي" عن هذا في قوله: « اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمّن للإشارة على متكلّم، أو على المخاطب أو على غيرهما بعد سبق ذكره هذا أصله وهو: أعني الضمير ينقسم على قسمين من حيث الوضع قسم لا يسوغ الابتداء به ويسمى

[1] ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، آن ريبول، ص374.

[2] ينظر: نسيج النص، ص 117.

متّصلا وقسم يسوغ فيه ذلك ويسمى منفصلا وكل واحد منهما بحسب اعتبار المراتب العرفية وراء تعرض الرفع والنصب والجر».[1]

والضمير حسب موقعه في الكلام إما أن يكون بارزا وإما مستترا.

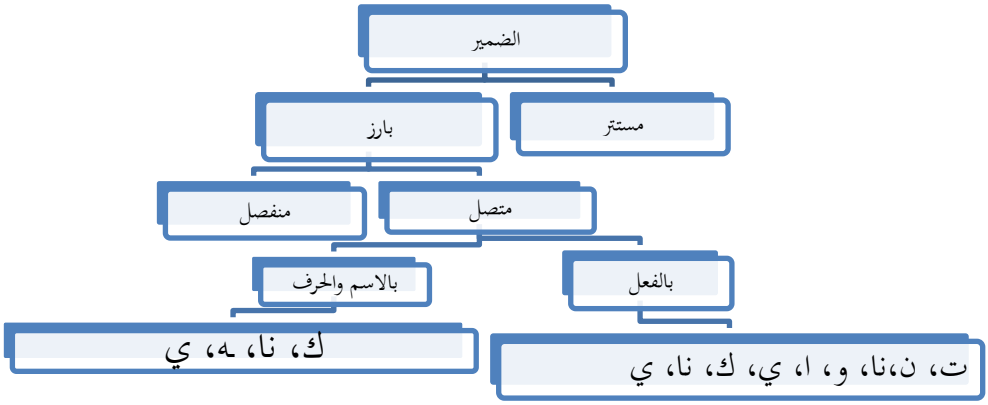

يعدّد "آن ريبول" نتائج للضمائر، حيث يوضّح أنّ:

1/ ضمائر المتكلم والمخاطب، يمكن تعيينها مباشرة، فهي تؤدي دور التواصل خلاف ضمائر الغائب، لا يمكن تعيينها فهي تمثل عددا لا متناهيا من الأفراد.

2/ يحل ضمير المتكلم محل ضمير المخاطب والعكس بالعكس أثناء الخطاب.

3/ ضمير الغائب هو الوحيد الذي يمكن استعماله في الدلالة على الجوامد.[2]

يعتبر تفسير ابن باديس حافلا ببعض المفاهيم التي يمكن أن نعدها من صميم الإشاريات وفيما يلي توضيح لذلك.

1/ ضمائر المتكلم و المخاطب:

تحيل ضمائر المتكلم على صاحب القول، وهو « الذات المحورية في الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من اجل التعبير عن مقاصد معينة، و بغرض تحقيق هدف فيه.»[3]

---

[1] مفتاح العلوم، السكاكي، ص66.

[2] ينظر: القاموس الموسوعي للسانيات التداولية، ص 358-359.

[3] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص45.

و إذا كان المتكلم هو المتلفظ فهو « حين يملك اللغة ويتحكم فيها فهو يجعلها من إمكاناته، وينصب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية.»[1]

نستنتج من هذا مدى ارتباط الضمير بمرتبة صاحب الخطاب في العملية التخاطبية.

ففي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.[2]

يعتبر ابن باديس أنّ في هذه الآية ذكر لآيات الله ونعمته بالليل والنهار المتعاقبين على هذا الكون العظيم، استدلال الخالق على الخلق ليعرفوه، وذكر ما فيها من النعمة عليهم ليشكروه ويعبدوه؛ لأن الفائدة راجعة للعباد ليبتغوا ويطلبوا فضلا من ربهم بالسعي لتحصيل المعاش، وأسباب الحياة، ووجوه المنافع.[3]

من خلال هذا وإن لم يفصّل الشيخ في طرفي الخطاب فالراجح أنّ الله تعالى(المتكلم) في كل من الأفعال(جعلنا، محونا)، والعباد (المخاطب) بدليل واو الجماعة في الفعل (لتبتغوا، لتعلموا)، وقد جاءت الآية بضمير جمع المتكلمين تعظيما للذات الإلهية لا إشراكا له تعالى في العمل والتدبير، تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا.

أما في قوله تعالى: "﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[4]، يشير ابن باديس إلى أنه سبحانه وتعالى لا يزال يواصل خلقه في كل لحظة من وجودهم بما يحتاجون إليه من فيض عطائه، بدليل الفاعل الذي جاء ضميرا مستترا (نحن)

[1] لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حاج حمو، ص100.

[2] الإسراء(12).

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص45-49.

[4] الإسراء(20).

تعظيما له تعالى، و الخطاب هنا موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أضاف الرب إلى ضمير المخاطب و المقام هنا مقام تشريف له صلى الله عليه وسلم بدليل هذه الإضافة.[1]

يقاس على هذا كل من الخطابات الأخر في مثل قوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾[2] ؛ فالخطاب من خلال الفعلين: أُنظر و لا تجعل موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة و للعباد عامة، فأمر تعالى بالنظر في أحوال التفضيل بين العباد ترغيبا لهم في تحصيل الفضل في درجات الآخرة، ونهى عن أن يُعتَقد معه شريك في ألوهيته فيُعبَد معه وهو الإله الواحد، وقد نبّه ابن باديس إلى أن مثل هذا الخطاب ينبّه الخلق إلى أنّ شرائع الله وتكاليفه عامة للرسول والمرسل إليهم.[3]

كما لا يمكن إغفال الإشارة بضمير جمع المتكلمين (المنفصل(نحن) و المتصل(نا)، إضافة إلى جمع المخاطبين(أنتم)، ومن هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾[4]، فقد بيّن ابن باديس أن الآية الأولى تشتمل على وعيد، بدليل النهي عن قتل الولد لفظاعته وسوء عاقبة فاعله، و لأنه تعالى أخبر أن رزق العباد جميعا متكفّل به بما ييسّر لهم من أسباب جلية أو خفية.

---

[1] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص57-58.

[2] الإسراء(22-21).

[3] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 59-63.

[4] الإسراء(35-31).

ومن الأمثلة هذا تعيين ابن باديس المخاطب في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[1]، إذ المخاطبون هم الذين كذّبوا و أمثالهم، فيكون هذا بمثابة الوعيد لهم على تكذيبهم بلزوم العذاب في الدنيا والآخرة.[2]

ومن الطرائف اللغوية القرآنية التي تنبّه لها الشيخ والتي هي من صميم الحدث الكلامي وما يتصل به في مقام الاستفهام حين قال تعالى على لسان سيدنا سليمان: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ﴾[3]، فقد استفهم سيدنا سليمان عن حال نفسه منكرا إياها، سائلا عن حاله وما حصل له فمنعه من رؤية الهدهد، [4] لدليل قوله: (مالي لا أرى الهدهد؟) وعدم قوله: (ما للهدهد لا أراه؟).

هذا من حيث بيانه (الشيخ) لكلامه تعالى، أما فيما يخص المبيّن لهم، فيظهر أن الشيخ قد كان قريبا من مخاطبيه؛ فالمطّلع على التفسير يلفيه عامرا بالأساليب التي تبين ذلك، لأنّ مثل هذا التفسير (إصلاحي) يستوجب أن يكون المخاطِبُ قريبا قربا حسيا ومعنويا من المتلقين، وإذا رجعنا إلى نصوص ابن باديس التفسيرية لاحظنا ذلك جليا فكثيرا ما يختم درسه التفسيري بدعاء أو رجاء له ولعامة المسلمين؛ فهو لا يرى نفسه إلا فردا من هؤلاء لذلك تجده يتحدّث بضمير جمع المتكلمين(نحن) ليبيّن وحدة المجتمع الجزائري. فهو فرد وجزء لا يتجزأ من كل، فكما يسعى لإصلاح نفسه يسعى لإصلاح أبناء أمّته، ومن الأمثلة على هذا:

قوله في بيان قوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[5]، « لما كان عليه الصلاة والسلام قدوتنا، فنحن مخاطبون بأن نكون مثله في

---

[1] الفرقان(77).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص244-245.

[3] النمل(20).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص266.

[5] الإسراء(20).

عموم رحمته... نفعل الخير عاما... نفعله لأنه خير نستطعم لذّته...»[1]؛ فهو هنا رحمه الله لم يخرج نفسه من دائرة الجماعة التي تكون قدوتها النبي صلى الله عليه وسلّم، وغير هذا المثال كثير في أكثر من موضع، وقد بيّنا الهدف الذي كان يرمي إليه الشيخ ابن باديس.

2/ الإشاريات الزمانية:

مما يمكن قوله أنّ الكلام لا يمكن فصله عن الزمن، كما لا يصِحّ وجوده دفعة واحدة فلا بد لأجزائه من أن تنتظم على سلك الزمن سابقاً فلاحقاً فتابعاً، ما يعني أن لا بد لأي جزء من أجزاء سلسلة الخطاب أن يكون مع أي جزء من الأجزاء الباقية علاقة زمنية.[2] وعلى هذا تعتبر الإشاريات الزمانية من أبرز العناصر المساهمة في معرفة قصد المتكلم، وفهم الخطاب، وهي: « كلمات تدل على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمن التكلم. فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام»[3].

فلحظة التلفظ تعتبر هي المرجع، لذا على المرسل إليه حتى يحدّد مرجع الإشاريات الزمانية ويتمكّن من تأويل الخطاب تأويلا صحيحا، أن يدرك هذه اللحظة ويتّخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية انطلاقا من معرفتها.[4]

من هنا يمكن اعتبار زمن التكلم هو الفاصل في تحديد المراجع التي تحيل عليها الإشاريات الزمانية، لكن كيف تستغرق هذه الإشاريات الزمن، أو ما حدوده؟

أشار بعض الباحثين إلى أنه يمكن القول أن الإحالة إلى الزمان إما أن تستغرق المدة الزمنية كلها، كما في المثال: اليوم الجمعة، أو قد تستغرق مدة محدّدة منها كقولك: اشترى عمرو بضاعة يوم الخميس، فهنا وقع الفعل في جزء من يوم الخميس، كما قد

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص58-59.

[2] ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1981م دت، ص267.

[3] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص19.

[4] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص83.

يتّسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدّد له عرفاً إلى آخر أوسع ككلمة (اليوم) في القول: أناس اليوم، فهي تشمل العصر الذي نعيش فيه لا اليوم المحدّد بأربع وعشرين ساعة.

ويرجع كل هذا إلى السياق الذي استخدمت فيه العناصر الإشارية للزمان، ويضاف إلى هذا بعض الاستعمالات اللغوية التي لا تنفكّ عن الإشارة الزمانية كبعض أنواع التحيات كـ (صباح الخير)، التي لا تقال إلا في الصباح، أما إن خالفت هذا فهو مما يضبط بأعراف الاستعمال.[1] من بين ما التفت إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس فيما يخص الإشاريات الزمانية ما فصّله حول آيتي الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾[2]. فالدلوك: هو الميل وبدايته عند الزوال ونهايته بالغروب، أما الغسق: فهو ظلمة الليل وبدايته الظلمة بالغروب، وتمامها بعد مغيب الشفق عند اشتداد الظلمة.

معنى هذا- كما أشار الشيخ- أن أقم يا محمد (صلى الله عليه وسلم) الصلاة لأجل ميل الشمس؛ فأفاد الظهر والعصر، وفي غسق الليل؛ فأفاد المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر لأنها صلاة مشهودة.

وبهذا تكون الآية قد انتظمت أوقات الصلوات الخمس، وكذا إقامتها على الوجوب لدلوك الشمس وانتهاؤها عند غسق الليل، لأن حكمه خارج عن حكم ما سبقه، وفي ربط الصلاة بالأوقات تعليم لنا لنربط أمورنا بالأوقات ونجعل لكل عمل وقته حتى يُضبَط للإنسان أمر حياته، وتطّرد له أعماله ويسهل عليه القيام بالكثير من الأعمال.

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص20-21.

[2] الإسراء(78).

ويستقى المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[1]،اسهر بعضا من الليل فتعبد بالقرآن في الصلاة زيادة على تعبدك به في صلاة فرضك؛ فتكون على رجاء أن يبعثك ربك من مرقدك فيقيمك مقاما يحمدك فيه جميع الناس. فالإشارية(من الليل) متعلقة بفعل محذوف دلّ عليه الفعل تهجّد تقديره الفعل الذي مضى وهو(تهجّد).[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ﴾[3]، رجع ابن باديس إلى التاريخ للبحث عن هذه المقولة وهي من القدم، فقد قيلت لنوح وهود عليهما السلام كما قيلت لصالح وشعيب وموسى وهارون عليهم أجمعين السلام.

وقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ما قاله أمثالهم لإخوانهم المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وتأتي لفظة (يوم) في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[4]، لتدل على أنه يوم يكون في الاستقبال، ومن صفات هذا اليوم أنه يوم يرى فيه المشركون الملائكة ويكون شره عليهم عظيما، وأنه يوم تحبط فيه جميع أعمالهم، وتشّقّق السماء بالغمام و فيه يكون ندم الظالم وسوء حاله، وكذا ما في التمني من الندم على ما فات في الماضي[5].

3/الإشاريات المكانية:

---

[1] الإسراء(79).

[2] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 137-138.

[3] الفرقان(20).

[4] الفرقان(27).

[5] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 169-170.

من أهم التصورات التي تطرّق لها الفكر اللساني العربي هو اعتبار وجود تفاعل نسبي بين حدث الكلام وبعد المكان، إذ العبارة اللغوية حبيسة المكان بالضرورة، لكنه(المكان) لا يحدّد وجودها النوعي، فهي عبارة عن رسالة دلالية كما أنها شحنة إخبارية تنتقل إلى آذان الحاضرين بوجوه متباينة فتشمل عددا لامتناهيا، لقدرة المادة الخطابية على ذلك سواء توفّر عنصر الحضور (حضور الخطاب) أو لم يتوفّر، ومعنى هذا أن الكلام قد يشمل بالسماع الموضوعي جملة من الحاضرين المتعدّدين و لا يخص بمحتواه إلاّ واحدا من بينهم أو من دونهم والعكس فقد يكون بمحضر واحد فقط وتعني رسالته الدلالية جملة من المخاطبين لا متناهية.[1]

من هنا يمكن القول حدث الكلام يتوفّر على مجموعة من الخصائص والتي من بينها الشمول و الانتشار، ما يمكّنه من الابتعاد عن الإعادة والتكرار، وهو الشيء الذي تنبّه إليه المفكّرون العرب فيما يعرف بظاهرة الاقتصاد اللغوي.

والإشاريات المكانية باختلافها يتمثل دورها في الإحالة على مرجع مكاني، ويقتضي الإلمام بمعناها معرفة سياق التلفظ، ويعتبر المكان الذي قيلت فيه مركز الإشارة؛ فمرجعها غير ثابت وغير محدّد لأنّ استعمالها وتفسيرها يعتمد على معرفة مكان التكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع.[2]

تسهم الإشاريات المكانية في الخطاب بكونها تختص في تحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، حيث هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء، فتكون إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى.[3]

---

[1] ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، ص51.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص21.

[3] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص84.

لا يعتبر الخطاب مجرد لغة يتوقف عليها فهم مراد المتكلم، بل لا بد من معرفة المرجع المكاني الذي يساعد على تأويل الخطاب تأويلا صائبا، وفهم المعنى الذي يريده المتكلم وبلوغ مقصده، ويؤكد هذا الباحث عبد السلام المسدي بقوله: « ليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان وإنما هو حبيس في سياجه».[1]

ومن هنا فالحدث الكلامي يختص بالمكان، ومن مقتضاه ألاّ يصحّ وجوده إلاّ فيه، ويذهب القاضي عبد الجبار مؤكدا الكلام بقوله: « والذي يدل أولا على أنه يوجد في المحل انه يتولد على اعتماد الجسم على الجسم و مصاكّته له، ولا يجوز أن يولّد اعتماد المحل على المحل ما يولّده إلا في المحل الذي اعتمد عليه، يدل على ذلك توليد الاعتماد سائر ما يولّده من الأكوان على اختلافها، ولولا أن ذلك كذلك لم يمتنع أن يولّد الاعتماد، و إن لم يماس محلّه محلّ آخر، وفي تعذّر ذلك دلالة على صحة ما قلناه.»[2]

تعدّ أسماء الإشارة من أبرز الإشاريات المكانية وضوحا كـ: هذا، ذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية(المتكلم) وكذلك: هنا و هناك وهما ظرفا مكان يحملان معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكان كـ: فوق وتحت، و أمام و خلف...إلخ، وهي كلها تشير إلى مكان لا يتحدّد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتّجاهه.

وأضاف بعض الباحثين إلى هذا المجال (أل) التعريف، فهي تدخل في مفهوم الإشارة غير أنها غير موسومة بقرب أو بعد عكس اسم الإشارة الدال على ذلك. [3]

ثم لا يكفي في معرفة موقع الخطاب تحديد مكان التلفظ، إذ يعد اتجاه المتكلم أيضا أمرا مهما وضروريا في تحديد ذلك الموقع بدقة للبعد عن اللبس.

---

[1] التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، ص248.

[2] المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، 2012، ج7، ص 26.

[3] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22-23.

لقد وقف المفسرون على الاستعمالات الحيزية للمكونات المكانية ببيان تأويلاتها التداولية كما يفهم ذلك من تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾[1]، فالمستقر محل الإقامة والبقاء، يشير بعض الباحثين إلى عناصر الإشارة إلى مكان قد تنقل للإشارة إلى ما يسمونه المسافة العاطفية Emotional distance فتسمى عندئذ الإشارة الوجدانية Empathic dexis[2]، وهو قريب مما أسماه علماء المعاني عندنا: التحقير بالقرب في مثل قوله تعالى: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ والتعظيم بالبعد كقوله تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[3].

لقد أشار ابن باديس في بعض المواضع من تفسيره إلى مثل هذه الإشارة ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها﴾، اعتبر الشيخ (ذلك) إشارة إلى جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات على قراءة "سيئه"، أما على قراءة "سيئة" فهي إشارة إلى مخصوص القبائح.

والمعنى أنه تعالى: عرّف عباده في هذه الآية بمنطوقها ومفهومها على ما تقدّم في التقرير، أنّ ما أمرهم به هو الحسن المحبوب، وأنّ ما نهاهم عنه هو القبيح المبغوض فعلموا من ذلك أنّ أوامر الشرع ونواهيه هي على مقتضى العقل الصحيح والفطرة السليمة، وأنه تعالى لا يأمر بقبيح ولا ينهى عن حسن.[4]

4/الإشاريات الخطابية:

أخرج بعض الدارسين إشاريات الخطاب من دائرة الإشاريات؛ كونها تلتبس من حيث المفهوم بمفهوم الإحالة، غير أنّ البعض يضع بينهما حدودا فارقة، ويرى هؤلاء أنّ الإحالة

---

[1] الفرقان(66).

[2] ينظر: آفاق جديدة غي البحث اللغوي المعاصر، ص23

[3] ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبط عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط01، 1904هـ، ص62.

[4] ينظر: التفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص110.

يتّحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه نحو: زيد كريم وهو ابن كرام أيضا؛ فالمرجع الذي يعود إليه "زيد" و "هو" واحد. أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع؛ فإذا كنت تروي قصة ثم ذكّرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقّف قائلا: لكن تلك قصة أخرى، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد.

وليس الأمر هنا حاسما في التمييز بين إشارات النص والإحالة إلى عنصر، لأن الإحالة ضرب من إشاريات النص، وقد يبدو طبيعيا أن تستعار إشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب؛ فكما يُقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب، أو الرأي السابق، وقد يقال: هذا النص للإشارة إلى نص قريب، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول.[1]

من نماذج الإشاريات الخطابية في تفسير ابن باديس ما أورده في بيان قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[2]، يقول رحمه الله: «...فهذه الكلمات القليلة الكثيرة ... »[3]، إشارة إلى قوله: (لتبتغوا فضلا من ربّكم)؛ فقد أشار إلى آية قريبة، ثم بيّن المقصود بهذه الكلمات القليلة الكثيرة.

و نظير هذا قوله: «... ومن مقتضى هذا... »[4]، يشير بها إلى أنّ الأسباب الكونية في الحياة وسائل لمسبّباتها بأمر وتقدير من الله تعالى؛ فعلى الإنسان ألا يهمل هذه المسبّبات.

---

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص24.

[2] الإسراء(12).

[3] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص48.

[4] المصدر نفسه، ص50.

كما استعمل الشيخ" كل" كإشارية خطابية ففي قوله: « وشاهدوا كلّهم... وجاءتهم كلّهم رسل الله... فاختار كلّ بعقله وهو حر في إرادته... وحجة الله بما تقدّم قائمة عليه. وبقوا بعد ذلك الاختيار – الذي اختلفت به منازلهم عند الله– فيما أعدّ لهم يوم لقاه...».[1]

فكل العباد أحوالهم في الدنيا أنّهم أُعطوا من نعم الحياة، ومُكّنوا من أسبابها؛ فإذا لاحظنا الإشارية (بما تقدّم)، فهي خطابية تشير إلى ما قدّمه الله لهؤلاء العباد من نعم ورحمة، أما إشارية(ذلك الاختيار) فهي تشير إلى ما اختاره الإنسان من إرادة الله أو إرادة الآخرة، أو هي الإيمان أو الكفر.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ۝٢١﴾[2] ، ينبّه الشيخ إلى أنّه في قوله عز وجل: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ إشارة إلى أنّ التفاضل في تلك الدرجات مرتبط بالتفاضل في السلوك والسعي المشكور، وهو ما ورد في الآية السابقة﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩﴾.

كما تنبّه الشيخ إلى خصوصية اسم الإشارة(ذلك)، ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ۝٣٩﴾[3]، يقول الشيخ: « ذلك إشارة إلى جميع ما تقدّم من المأمورات والمنهيات على قراءة"سيئه"...(فـ)كلّ ذلك المذكور كان سيئه– وهو المنهيات–مكروها عند ربّك و مفهومه أنّ حسنه –وهو المأمورات– محبوب عنده. وعلى الثانية كلّ ذلك المنهي عنه كان سيئه مكروها عند ربّك ومفهومه أنّ المأمور به حسن عنده».[4]

مما سبق يتّضح أنّ مفهوم الإشارة الخطابية يتداخل ومفهوم الإحالة؛ فهنا يعتبر اسم الإشارة(ذلك) إحالة إلى سابق في النص على القراءتين معا (سيّئه) و (سيّئة).

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ، ص57.

[2] الإسراء(21).

[3] الاسراء39

[4] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 110.

الفصل الثالث:

الحجاج من خلال تفسير

(في مجالس التذكير)

1.الحجاج (مفهومه، ضوابطه ومفاهيمه الأساسية)

1.الحجاج في اللغة والاصطلاح:

من معاني الجذر اللغوي (ح، ج، ج) الغلبة بالحجة والمجادلة، يقال, « حاجَجْتُه أحاجه حجاجاً ومحاجه حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، ... وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة وحجه يحجه حجا: غلبة على حجته ...»[1]

يشير المعنى اللغوي للفظ (حجج) إلى الجدل والتخاصم بين طرفين أو أكثر (في قضية ما) كل ونظرته وحجته وبرهانه ودليله على تبتية موقفاً ما.

ويذكر "الزمخشري" في أساس البلاغة بعض المعاني التي يخرج إليها لفظ (حجج)، وهي مبيّنة في قوله: « سلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة. وأقمت عنده حجة كاملة، وثلاث حجج كوامل. وحجوا مكة، وهم حجاج عمار كالسفار للمسافرين، و"هؤلاء الداج وليسوا بالحاج" والحجيج لهم عجيج. وفلان تحجّه الرفاق أي تقصده».[2]

فالطريق والسنة والسنة، والقصد ... من بين المعاني التي يأتي عليها لفظ (حجج)وفي القرآن الكريم عديد الآيات التي ورد فيها لفظ (الحجاج) منها:

قوله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾،[3] وقوله أيضا: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ

[1] لسان العرب، ابن منظور مادة (ح.ج.ج) دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ مج2، ص222.

[2] أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ /1998م، ج1 ص169.

[3] آل عمران 66.

فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [3]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[4].

أما في الإصطلاح فيعرفه "طه عبد الرحمن" بقوله: « وحدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي وأجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية، موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورة استدلالية وأوسع وأغنى من البينات البرهانية الضيقة»[5].

فالحجاج التداولي والجدلي هو الحجاج ذو الطابع الفكري والاجتماعي، الذي يجعل لطرف الخطاب أهمية أثناء المحاججة، من التزام بمقام الخطاب لأن المعارف مشتركة بين طرفيه؛ ولأن المرسيل غايته التي يرمي إليها هي إقناع المتلقي.

أما إذا نظرنا للحجاج (في اللغة) بصفة عامة، فهو نابع من (نظرية الحجاج)، التي انبثقت في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية؛ فقد طوّر "ديكرو" أفكار "أوستين" واقترح إضافة فعلين لغويين هما : فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، كما قام بإعادة تعريف مفهوم الإنجاز، مع حفاظه على فكرة (عرقية اللغة)، والإنجاز عنده هو: فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات.

---

[1] البقرة 258.

[2] الأنعام80.

[3] الشورى16

[4] غافر 47.

[5] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000م، ص65.

وبما أن فعل الحجاج هو الفعل الوحيد الذي يسير فيه الحوار، فهو يفرض على المخاطب نمطا معيناَ من النتائج، ويأخذ الخطاب قيمته الحجاجية حسب تناميه واستمراره، لأنها نوع من الالتزام يتعلق بالطريقة التي يسلكها هذا الخطاب.[1]

إذن الحجاج خطاب يأخذ طابعه التواصلي من حواريته، لأنه خطاب بين طرفين يروم أحدهما لإقناع الآخر، عن طريق مجموعة من الحجج يوردها بشكل دقيق حسب ضوابط تجعل هذا الخطاب خطابا حجاجيا تداوليا.

انطلق "ديكرو" في طرحه اللساني للحجاج من تأكيد الأبعاد التداولية والدلالية الكامنة في اللغة التواصلية اليومية وكذا اللغة الإبداعية، لأن موضوع الحجاج هو« بيان مايتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناَ أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها بوجه قوله وجهة حجاجية ما».[2]

نستنتج من هذا أنّ الحجاج يرتبط بمجموعة من المفاهيم الأساسية من مثل: التوجيه الحجاجي والسلم الحجاجي، اللذان يختصان بالعلاقة الحجاجية، المحددة إما لسانيا أو تداوليا.

فمثلا إذا قيل:

1/ الغذاء تقريبا جاهز.

فالجملة تشير إلى أن الغذاء غير جاهز حين التلفظ بها لأننا احتجنا إلى معدل (تقريبا) وبالتالي الجملة المذكورة تعني عدم جاهزية الطعام.

أما إذا قيل:

2/ تقريبا أنهيت عملي؛ فإن سماعها لا يهتم بمعدل (تقريبا)، بل يعدّ مسألة إنهاء العمل محسومة أو في حكمها، وأن لم يقع ذلك بالفعل، ومن هنا يمكن اعتبار الجمل من مثل

[1] ينظر: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص56.

[2] شكري المبخوت" نظرية الحجاج في اللغة" ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون في العلوم الإنسانية، تونس، ط1، ص 35.

هذا العرف الجاري في المحادثات يركز على تفويت في القيمة المنطقية للقول لصالح قيمة تداولية تواصلية.[1]

لا يمكننا الإلمام بما جاء به "ديكرو" في نظريته هذه، لأنها لا تنحصر في بعد من الأبعاد مع ما طوّره وعدله في بعض عناصرها، غير أننا ستكتفي بعرض مفهومي كل من السلالم الحجاجية والتوجيه.

أ/ مفهوم السلالم الحجاجية: .

من بين النظريات التي عدلها "ديكرو" والتي من مفاهيمها: القسم والسلم والقوة الحجاجية:

1. القسم الحجاجية: يمكن اعتبار القولين"ق"و "ق1" أنهما ينتميان إلى باب حجاجي واحد يحدده قول"ن" إذا كان المتكلم يعتبر أن "ق" و "ق1" بمثابة حجج لفائدة "ن" فالمحدد بالنسبة إلى مفهوم النتيجة هو القسم الحجاجي، وبالتالي قولان أو أكثر ينتميان إلى باب حجاجي واحد يمكّنان من خدمة النتيجة نفسها ويمثلان اختيار متكلم واحد.

2. القوة الحجاجية: تخضع الحجج المنتمية لقسم حجاجي واحد إلى ترتيب ذلك أن بعضها أقوى من بعض، فتكون الحجة الأقوى نتيجتها مستلزمة من الحجة التالية لها وليس العكس.

3. السلم الحجاجي: نقول عن حجج أنها تنتمي إلى سلم حجاجي إذا وجهت علاقة ترتيب أو قوة العناصر الموجودة داخل القسم حجاجي، فالسلم الحجاجي هو قسم حجاجي موجه ويمثّله الشكل الآتي: [2]

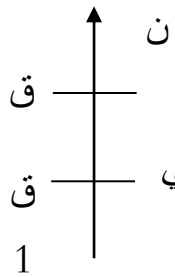

فتعتبر (ن) النتيجة أما "ق" و "ق1" الحجّتان المنتميان للسلم الحجاجي نفسه. وللسلم الحجاجي سمتان يتّسم بهما:

أ/ كل قول يرد في درجة مامن السلم، فيكون القول السابق له دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة.

---

[1] ينظر التداولية والحجاج، صابر الحباشة، ص21-22.

[2] ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر. آن ريبول، ص 298. 299

ب/ إذا كان القول "ق1" يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أن "ق" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، لكن العكس لا يصح.

قوانين السلم الحجاجي:

للسلم الحجاجي قوانين ثلاثة مهمة وهي:

1/ قانون النّفي: ويعني هذا أنه إذا كان قول ما مستخدم من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة ويمكن التمثيل بما يلي:

ن: نتيجة للقول (ا)

و لان: نتيجة للقول (أ)

الطلاب ليسوا مجتهدين إنهم لم ينجحوا في الإمتحان.

و بالتالي إذا تم قبول الحجاج الوارد في المثال الأول، حتما وجب قبول الحجاج الوارد في المثال الثاني.

2/ قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، وهو متمم للقانون السابق، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال المثبتة ويمكن الترميز لهما بالآتي:

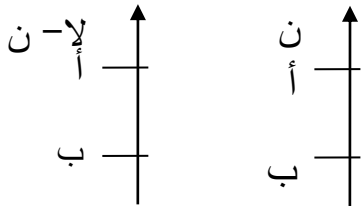

والإيضاح هذا نأتي بالمثالين:

. حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه

. لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على المجاستير، وفي المقابل عدم حصوله على المجاستير أقوى حجة على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه.[1]

3/ قانون الخفض: من خلال هذا القانون يتضح أن الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساوياُ لعبارة "moins que " ففي استعمال الجمل من شكل:

- السماء ليست غائمة.

[1] ينظر: اللغة والحجاج، ص20.

- لم يجب كثير من التلاميذ على الأسئلة.

فهنا تستبعد التأويلات التي ترى أنّ السماء غائمة وأنها تمطر.

أو أنّ التلاميذ كلهم أجابوا على الأسئلة. وبهذا يؤوّل القول الأول على الشكل التالي:

- إذا لم تكن السماء غائمة، فهي صافية.

وسيؤول القول الثاني كمايلي:

- لم يجب إلا القليل من التلاميذ على الأسئلة.

يرتبط المفهوم السلم الحجاجي التوجيه أولا الإتجاه الحجاجي، وهو الذي يحدد القيمة الحجاجية لقول ما، فيكون إما صريحاً أو مضمراً، ويعني هذا أنه إذا اشتمل قول أو خطاب ما على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أما إذا كان هذا الخطاب غير مشتمل على روابط وعوامل حجاجية، فإن التعليمات المحددة الإتجاه الحجاجي نستنتج من الألفاظ والمفرادات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام.[1]

ب/الروابط والعوامل الحجاجية:

1/ الروابط الحجاجية: تعرف بأنها أدوات لغوية مهمتها تكمن في الربط بين قضيتين، وترتّب درجاتها بوصفها حججا في الخطاب، ومن هذه الروابط: حتى، بل، لكن، فضلا عن.[2]

يمكن التمييز بين أنماط عديدة من الروابط حيث هناك:

أ/ الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ ...).

والروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا، وبالتالي ...).

[1] ينظر المرجع السابق ص24.25.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص508.

ب/ الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما ...)أو تدرج حججا ضعيفة.

ج/ روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك ...) وروابط التساوق الحجاجي: (حتى، لاسيما ...)

يظهر أنّ الروابط الحجاجية بما أن وظيفتها الربط بين قضيتين، فإنّها تختلف حسب ما تربط بينه لأنها في نفسها ليس لها أي معنى إلا إذا كانت داخل استراتيجة حجاجية محدّدة.

2/ العوامل الحجاجية: هي عبارة عن مورفيمات إن وجدت في ملفوظ تحول توجيه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ، وتتمثل وظيفتها في الربط بين متغيرات حجاجية (حجة + نتيجة) أو مجموعة من الحجج، غير أنها تقوم بحصر وتقييد الإماكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثير، ما ... إلا، وجُلّ أدوات القصر.[1]

2.أصناف الحجاج و أنواع الحجج الباديسية:

يصنّف الحجاج إلى صنفين حسب استحضار حجاج المرسل إليه أو عدمه وهما:

أ/ الحجاج التوجيهي:

يقصد به إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الخاص بالمستدل (المرسل)، ويمثّل لهذا الصنف من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تخصّ المرسل من الاستدلال؛ فهو لا زال لم يفترض بعد حجج المرسل إليه، وتصوّره عنه لازال ناقصا؛ ذلك أنّ المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه وتنظيم خطابه، دون اهتمام بالمرسل إليه،

[1] ينظر: اللغة والحجاج، أبوبكر العزاوي، ص27.

لأن غرضه يتمثّل في إيصال حججه إليه فقط، ولا يهمّه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت.[1]

نمثّل لهذا النوع من الحجاج بحديث الشيخ عن العباد المأمورين في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾﴾ [2]، يقول: العباد المأمورون هنا هم المؤمنون لوجهين:

الأول: أنهم أضيفوا إليه وهذه إضافة شرف لا يكون إلا للمؤمنين به.

الثاني: أنّ الذين يخاطبون بهذا الإرشاد ويكون منهم الامتثال إنما هم من حصّلوا أصل الإيمان.

" والتي هي أحسن" هي الكلمة الطيبة، والمقالة التي هي أحسن من غيرها. فيعمّ ذلك:

ما يكون من الكلام في التخاطب العادي بين الناس، حتى ينادي بعضهم بعضا بأحب الأسماء إليه. وما يكون من البيان العلمي فيختار أسهل العبارات و أقربها للفهم حتى لا يحدّث الناس بما لا يفهمونه، فيكون عليهم حديثه فتنة وبلاء. وما يكون من الكلام في مقام التنازع والخصام فيقتصر على ما يوصله إلى حقّه في حدود الموضوع المتنازع فيه، دون أذاية لخصمه ولا تعرّض لشأن من شؤونه الخاصة به.

وما يكون من باب إقامة الحجة وعرض الأدلة، فيسوقها بأجلى عبارة وأوقعها في النفس، خالية من السب والقدح، ومن الغمز والتعريض، ومن أدنى تلميح إلى شيء قبيح.

وهذا يطالب به المؤمنون سواء كان ذلك فيما بينهم، أو بينهم وبين غيرهم. فقد جاء في الصحيح: « أنّ رهطا من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم

[1] ينظر: استرتتيجيات الخطاب، ص471/470

[2] الإسراء(53).

ففهمتها عائشة (رضي الله عنها) فقالت: وعليكم السام واللعنة. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلّم مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرّفق في الأمر كلّه. فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ فقال: قد قلت: وعليكم... فحاصل هذا التأديب الرباني اجتناب الكلام السيّء جملة، والاقتصار على الحسن وانتقاء واختيار الأحسن من بين ذلك الحسن وهذا يستلزم استعمال العقل والروية عند كلّ كلمة تقال ولو كلمة واحدة .

فربّ كلمة واحدة أوقدت حربا، وأهلكت شعبا أو شعوبا، وربّ كلمة واحدة أنزلت أمنا وأنقذت أمة أو أمما...»[1]

نلاحظ في هذا الخطاب أنّ الشيخ ابن باديس أورد مجموعة من الحجج وبيّن أنّ المقصود في خطابه تعالى: (عبادي) هم المؤمنون، فلا نلمح هنا توقّع اعتراض من المرسل إليه؛ فالشيخ لم يفترض حججا للمرسل إليه ثمّ إنّ اهتمامه به ناقص، لأنّ هدفه هو مجرّد إيصال حججه إليه، والملاحظ للأدوات اللغوية التي استعملها الشيخ في ترتيب الحجج أنّه استعان بحروف العطف واستعملها كروابط حجاجية؛ فإذا ركّزنا في الحجج الثلاث:

1/ إضافة العباد إليه تعالى إضافة شرف للمؤمنين فقط.

2/ المخاطَبون بهذا الإرشاد الذين يكون منهم الامتثال هم المؤمنون.

3/ المؤمنون هم المطالبون بالقول الحسن.

أنّها وردت برابط(و)، (أو) كرابط حجاجي، إضافة إلى عوامل حجاجية من قبيل: أداة القصر(إنّما) التي وظيفتها قصر الصفة على الموصوف وتأكيدها والعكس، فقد تعرّض الجرجاني لأهمية هذه الأداة في حصر الملفوظ بقوله: « اعلم أنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره، فإذا قلت: (إنّما جاءني زيد) عُقِل منه أنّك أردت أن

[1] تفسير في مجالس التذكير، ص113-114.

تنفي أن يكون الجاني غيره. فمعنى الكلام شبيه بالمعنى في قولك: (جاءني زيد لا عمرو).»[1]

إذن وردت الحجة الثانية بالعامل (إنّما)، فصفة المؤمنين تقتصر على من خوطِبوا، وكان منهم الامتثال لإرشاده تعالى وأوامره ونواهيه، وجاءت الحجة الأولى بعامل حجاجي مكوّن من أداة نفي وأداة استثناء(لا ...إلاّ)، وتكمن وظيفة هذا العامل على تحديد إمكانات الملفوظ وتوجيهه إلى شيء معيّن بتوكيده. فقد أكّد الشيخ باستعمال هذا العامل أنّ الشرف بالإضافة في قوله تعالى: (عبادي) لا يكون إلاّ للمؤمنين وبالتالي غير هؤلاء غير معنيين بهذه الإضافة وبهذا الشرف.

نخلص مما سبق أهمية العوامل والروابط الحجاجية في إنتاج ونسج خطاب متكامل، باستثمار دلالاتها في ترتيب وتقوية الحجج، لأنّ وظائفها تتعدى الرّبط النسقي(الأفقي) إلى إحداث ترتيب عمودي، يتجلى في السلالم الحجاجية.

ب/ الحجاج التقويمي:

يقصد به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذات ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه؛ وذلك بالنظر إلى فعل التلقي باعتباره هو نفسه أوّل متلق لما يلقي بانياً أدلة على ما يقتضي أن يتعيّن على المستدل له القيام به، مستبقاً استفساراته واعتراضاته، مستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها. وهذا فهو يقوّم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه.[2]

[1] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ، مطبعة المدني، القاهرة، ج1، ،ط3، 1992م، ص335.

[2] ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 226–228.

من هنا نقول أنّ المرسل يقوم بإجراء حوار ضمني يستبق به اعتراضات المرسل إليه، وذلك بإيراد حجج في خطابه يدحض بها حجج المتلقي بناءً على سعة معرفته.

من بين الأمثلة على ذلك في خطاب الشيخ عبد الحميد بن باديس التي يستعمل فيها ضيغة المبني للمجهول إشارة إلى ما يسوقه المرسل إليه من اعتراضات فيقوم بدحضها في كل مرة قوله في حكم قيام الليل (التهجد) هل كان قيام الليل فرضاً عليه صلى الله عليه وسلم، دون أمته، بمقتضى قوله تعالى « نافلة لك»؟

أولاً: قد ذهب إلى هذا جماعة كثيرة من أهل العلم سلفاً وخلفاً ويرد عليه:

1. أن توجيه الخطاب إلهي لا يقتضي تخصيص الحكم له، كما في آية « قم الصلاة لدلوك الشمس » وآيات كثيرة.
2. ولأن قيام الليل يقع من غيره، فيسمى نافلة اتفاقاً .
3. ولحديث عائشة رضي الله عنها: « إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، تعني سورة المزمل- قم الليل- فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها أثني عشر شهراً، حتى أنزل الله، في آخر هذه السورة- التخفيف، فصار قيامه تطوعاً بعد فرضه»رواه مسلم.[1]

فهذا يدل على أنهم فهموا أن الأمر من قوله تعالى « قم» لهم معه، مع أنه موجه إليه بخطاب الإفراد...

4. ولحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما: قام الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى تورمت قدماه، وهذا لمداومته على القيام كل ليلة ببضع عشرة ركعة

[1] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ج1/ 513.

فقيل له: قد غر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً».

فلو كانوا يعلمون أن قيام الليل واجب عليه، ويفهمونه من القرآن لما أنكروا- مشفقين عليه- أن يقوم بما هو واجب عليه، ولأن قوله « أفلا أكون عبداً شكوراً»، يفيد أنه متطوع بهذا القيام باختيار، ليؤدي شكر نعمة ربه عليه.

فإن قيل: إن السؤال والجواب راجعان إلى تورم قدميه، وذلك ناشيء على المداومة؟

قيل: إذا أنكرت الشيء الناشيء عن المداومة فقد أنكرت المداومة، والمداومة على الفرض لا تنكر، فبقى الدليل سالماً».[1]

إذا لا حظنا العبارتين الأخيرتين (فإن قيل: قيل) فإن إيرادهما مبني على اعتراض مفترض من مرسل إليه متوقع (متخيل)، لذلك أورد الشيخ حججاً يدحض بها اعتراضه.

وقد يكون الحجاج التقويمي بالتلميح إلى مرسل معين بأداة إشارية، مثل قوله في صفات عباد الرحمن من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [2]، قال: « فبطل قول من زعم أن هذه الآية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف، لأن هذه الآية ثابت حكمها في حال وآية السيف ثابت حكمها في حال أخرى، فلا تنسخ إحداهما الأخرى».[3]

فالملاحظ للإشارة (من) توقع أو معرفة الشيخ بمن يعترض حجته لذلك أحسن توظيف حجته واختيارها المبني على خلفيته المعرفية ومعرفته للسياق وعناصره، ويتجلى ذلك أكثر في حديثه (رحمه الله) عن حقيقة العبادة، أهي مع رجاء الثواب وخوف العقاب؟ أو دونهما؟

[1] التفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 138-139-352.

[2] الفرقان 63.

[3] التفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 196.

بقوله: «... ولا تجد في القرآن العظيم، آية واحدة دالة دلالة صريحة على ذكر عبادة- هكذا- دون خوف أو طمع.

ونزيد على الآيات المتقدمة، آية دالة على حال عبادة المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وهي قوله تعالى: « وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ » .[1]

ووجه الدليل في الآية: أن إبراهيم عليه السلام أخبر عن نفسه بصيغة المضارع المفيد للتجدد، أنه يطمع من الله أن يغفر له خطيئته؛ فذل ذلك على أنه كان في عبادته طامعاً.

ومعلوم أنه معصوم، وأنه مؤمن من العذاب، وأن ما سماه خطيئته هو بالنسبة إلى مقامه الرفيع من باب: « حسنات الأبرار سيئات المقربين».

ومع ذلك كله فالمقصود من الدليل حاصل، وهو أنه خاف المؤاخذة اللائق بمقامه وطمع في الغفران، وكانت عبادته على الطمع والخوف.

ولا يقال: إنه كان معلماً للناس؛ لأنه إخبار عن نفسه، وخبره صدق ثابت، فلابد أن يكون كما أخبر».[2]

توقّع الشيخ في هذا الخطاب جواب المرسل إليه عن سبب طمع سيدنا إبراهيم في مغفرة الله له، وهو تعليمه الناس، فاستعمل أداة النفي لا والفعل المضارع المبني للمجهول دون قصد قائل بعينه، ما يؤكد غاية الشرح بالمقام والتفاعل معه، وكذا أهمية الحضور العيني الذي يعدّ مصدر الإلهام وأساس هذا التفاعل، الشيء الذي يجعل هذا التّخيّل للطرف الآخر من الخطاب يحقّق وظيفتين: الأولى حجاجية والثانية حوارية تنبثق الأولى من الثانية، لأن مسار الكلام كان انطلاقاً من تخيّل أجوبة مفترضة في مقام معين.

ج/أنواع الحجج الباديسية:

[1] الشعراء 82..

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 205.

اهتم الباحثون والدارسون باستعراض أصناف الحجج التي تزخر بها النصوص، ومن هذه الأنواع ما نقله "صابر الحباشة" عن "برلمان" و"تيتكا": [1]

1.حجج التبرير l'argument de gaspillage:وأداتها « بما أنّ »

يكاد يخلو التفسير من هذه الحجة بهذه الأداة؛ ذلك أن الشيخ كان يدرك مقام الحجاج وحتى مفهومه، فحجاجه لا يحتاج إلى تبرير لسامع حتى يصل إلى مرحلة الإقناع، اللهم إلا ما أورده باستعمال غير هذه الأداة فمثلا في قوله (رحمه الله): « وهذا لأن العبادة هي الخضوع والتذلل لمن بيده الخلق والتصرف والعطاء والمنع ومظهر هذا الخضوع والتذلل هو الدعاء لدفع الضر، أو جلب النفع....».

يمكن أن ندرج في هذا القول (بما أنّ) مكان (لأنّ) (بما أن العبادة هي الخضوع والتذلل... فإن مظهر هذا الخضوع والتذلل هو الدعاء)؛ إذ لا فرق في استعمال الأداتين لأن المعنى واحد، ويكمن الاختلاف في استعمال الرابط الحجاجي (لأن)، الذي هو من قسم الروابط المدرجة للحجج.

2. حجة الاستشهاد:

الغاية منها توضيح القاعدة، وتكثيف حضور الأفكار في الذهن.[2] ونمثّل لهذه الحجة باستشهاد الشيخ في حديثه عن الإحسان للوالدين وكيف قرن الله تعالى ذكرهما بذكره في مقامات مختلفة يقول « ... فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية وفي قوله تعالى: «﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا»[3].

ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال تعالى: «أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾»[4].

---

[1] ينظر التداولية والحجاج صابر الحباشة، ص 48.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

[3] النساء(36).

[4] لقمان(14).

وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالإحسان والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب.

ثم زاد هذا الحكم وهذا الأمر تقريرا بلفظ التوصية بهما في قوله تعالى «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا »[1]، لحفظ حكم الله وأمره فيهما، ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهما بهذه الوصاية، أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عن ولدهما، وكفى بهذا داعياً إلى العناية بهذه الأمانة وحفظهما وصيانتهما».[2]

فقد استشهد الشيخ بهذه الآيات ليبيّن ويؤكد على سبب قرن ذكرهما بذكره تعالى، والسبب هو الحالة التي خصّهما الله بها وأعانهما بالفطرة عليهما.

من الأمثلة الأخرى على هذه الحجة في تفسير الشيخ لقوله تعالى: « وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ »[3]، يبيّن الشيخ أن الله تعالى لم يرد ذلك حتى يظهر فضله صلى الله عليه وسلم بعموم رسالته ويعظم أجره بعظم جهاده وصبره؛ ويكثر ثوابه بكثرة من يؤمن به.[4]

أورد رحمه الله ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه قال: « أعطيت خمساً لم يعطهم أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلّت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً؛ فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت

[1] العنكبوت(8).

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 16.

[3] الفرقان(51).

[4] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 186.

الشفاعة»[1] الحديث عن جابر بن عبد الله في صحيح مسلم. وزاد فيه أبو هريرة« وختم بني النبيون»[2]

فاستشهد الشيخ بهذا الحديث ليؤكد ما جاء في الآية من تعميم رسالته صلى الله عليه وسلم وختم النبوة به.

ونظير هذا استشهاده رحمه الله بكلام العرب في آية العلم والأخلاق في قوله تعالى « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ »[3].

فالقفو: « اتباع عن غير علم، فهو أخص من مطلق الاتباع، ولذلك اختيرت مادته هنا. ولكونه اتباعاً بغير علم، جاء في كلام العرب بمعنى قول الباطل[4] قال جرير:

«وطال خذاري خيفة البين والنوى*** وأحدوثه من كاشح متقوف»[5]

الملاحظ أنّ الشيخ أورد البيت للاستشهاد بمعنى القفو.... تخصيصه أنه اتباع بغير علم، أو القول بغير علم كما في البيت الشعري.

نضيف إلى هذا استشهاده بحال المسلمين في زمانه رحمه الله يقول: « لقد شعر المسلمون عموماً بالبلايا والمحن التي لحقتهم، وفي أولها سيف الجور المنصب على رؤوسهم، وأدرك المصلحون منهم أن سبب ذلك هو مخالفتهم عن أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة، تدعوا الناس إلى معالجة أدواتهم بقطع سببها واجتثاث أصلها. وما ذلك إلا

[1] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج1/ 370.

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 186.

[3] الإسراء(36).

[4] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 99.

[5] ديوان جرير.

بالرجوع إلى ما كان عليه محمد عليه الصلاة والسلام، وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام».[1]

استشهد الشيخ بحال المصلحين في زمانه، نظير ما رواه الإمام "ابن العربي"– رحمه الله– في النهي والتحذير من التزيد في العبادة، وجاء الحديث عن « سفيان بن عُيَينة قال: سمعت مالك بن أنس– وأتاه رجل– فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إني أرد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل، قال: إني أريدن أن أحرم من المسجد عن القبر، قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! إني سمعت الله تعالى يقول: « فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾» النور 63[2].

3.حجة المثل:

والغاية منها التأسيس للقاعدة والبرهنة على صحتها[3] ومثال هذا قوله رحمه الله في تفسير لقوله تعالى: «قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾» الإسراء 56. «لا يملكون» وقد بعد الفاء ولم يجزم في جواب الأمر؛ لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقدير: فهم لا يملكون، وهذا لأن الفاء قصد بها العطف، ولم يقصد بها السببية، ولا يصح أن يقصد بها السببية، لأن ذلك يقتضي أن يكون عم ملكهم متسبباً عن الدعاء، مثلها في قول الشاعر

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 339.

[2] النور (63).

[3] ينظر التداولية والحجاج، صابر الحباشة ، ص 49.

ربّ وفقني فلا أعدل عن*** سنن لساعين في خير سنن.[1]

فإن عدم العدول متسبب عن التوفيق

وليس كذلك الأمر في هذه الآية؛ فإن عدم ملكهم متحقق، سواء دعوا أم لم يدعوا. فلذلك أمتنع النصب ووجب الرفع على التقدير المتقدم».[2]

مثّل الشيخ في تعيينه لقاعدة النصب أو الرفع للفعل في جواب الأمر بالبيت الشعري الذي حدّد من خلاله ما إن كان الرابط "الفاء" للعطف أو السببية، فامتنع النصب عن الفعل (يملكون) لأن الفاء قبله عاطفة وليست سببية ثم إن معنى الآية يقتضي عدم ملكهم سواء بالدعاء أو عدمه.

4.حجة الاتجاه:

الغرض من هذه الحجة التحذير من انتشار شيء ما.[3]

نمثّل لهذه الحجة بقول الشيخ في اعتبار الدعاء عبادة «.. ألا ترى لو أن شخصاً قام للصلاة بدون وضوء مستحلاً لذلك، فلما أنكرنا عليه قال: أنني لا أعتبر هذه الأفعال والأقوال عبادة، ولا أسمّيها صلاة، أترى ذلك يجيز فعله، ويدفع غنه تبعته؟؟ كلا!! ولاخلاف في ذلك بين المسلمين، بل قد حكموا بردته إن كان يفعل ذلك ويراه حلالاً، لأنه يكون قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة...»[4]

إذن حكم الشيخ بعدم جواز فعل هذا الفاعل بحجة أنه أنكر معلوماً من الدين، ونتيجة هذا الحُكْمُ بردّته إن كان فَعَله ورآه حلالاً.

---

[1] البيت بلا نسبة في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، دار التراث ، القاهرة، ط20، 1980م، ص 571 .

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 117.

[3] ينظر: التداولية والحجاج، صابر الحباشة ص 48.

[4] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 119.

نظير هذه الحجة ما أورده الشيخ رحمه الله في بيان أكمل أحوال العابد يقول: « ... وزعموا أن كمال التعظيم لله بنافيه أن تكون العبادة معها خوف من عقابه، أو طمع في ثوابه، وأخطأوا فيما زعموا:

فإن العبادة مبناها الخضوع والذل والافتقار، والشعور بالحاجة والاضطرار وإظهار العبد هذه العبودية بأثمها، ومن أثم مظهر لها، أن يخاف، ويطمع، كما يذل، ويخضع؛ ففي إظهار كمال نقص العبودية القيام بحق الإجلال والتعظيم للربوبية».[1]

إذن زعم هؤلاء باعتبار كمال أحوال العابد، أن يعبد الله تعالى لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره غير صحيح لأن العبادة في نظر الشيخ إنما تتبنى على الخضوع والذل والافتقار والشعور بالحاجة والاضطرار، وإظهار كل هذا من العبد الخاضع، الدليل المفتقر المحتاج، المضطر لله تعالى وحده صاحب الكمال.

لقد سعى ابن باديس من خلال هذه الحجج إلى توضيح دعواه وتكثيف الأفكار في ذهن المتلقي، بالبرهنة على صحة هذه الدعوى، وكذا التحذير مم قد يفسد عقل المتلقي وعقيدته، لذا يمكن القول أن أبن باديس نجح في إقناع المتلقي فكيف وصل إلى ذلك».

3/الشروط التي نجحت بها الحجة الباديسية.

يلخص الدكتور "طه عبد الرحمان" الشروط التي بها يكون المرسل موفقاً في أداء كل من الحجة المثبتة والحجة المبطلة، انطلاقاً مما استفاده الباحثان"**فان يميزن و فرو تتدورست**" من مبدأ (جون سيرل) في حديث شروط أداء الأفعال اللغوية وتتمثل شروط الحجة المثبتة في: [2]

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 201.

[2] ينظر:: التواصل والحجاج، طه عبد الرحمان، مطبعة المعارف، الرباط، دت، دط، ص 13.

1.**شرط المضمون القضوي:** إذا لاحظنا الحجج التي جاء بها ابن باديس (المثبتة) كلها جاءت بمجموعة من الأحكام الجازمة، وكل منها ينطوي على قضية مخصوصة فمثلاً في حجة الحكم بمعنى "التفوا" أنه اتباع بغير علم، أدرج رحمه الله في قضية الاستشهاد بقول جرير (في بيت سابق) أن معنى القفو القول الباطل (القول بغير علم) وكلاهما يندرج في خانة واحدة.

2. **الشرط الجوهري:** سعى ابن باديس من خلال مجموعة من الأحكام التي أوردها إلى إقناع المتلقي بصواب هذه الأحكام.

3. **شرط الصدق:** في اعتقادنا أن الشيخ ابن باديس كان يعتقد صد دعواه، وصدق القضايا التي أوردها لإثبات هذه الدعوى.

4. **الشرط التمهيدي:** الملاحظ لأغلب الدعاوى التي أوردها الشيخ أنه كان يعتقد أن المتلقي غير مسلم بها، لذلك مهّد له ووضّح دعواه؛ فسعى في الأخير إلى مجال التطبيق، لأنه أنى بمجموعة القضايا ليثبت صحة هذه الدعوى، ففي تفسيره رحمه الله لأية الإحسان للوالدين في سورة الإسراء، مهّد المتلقي بإقران ذكرهما مع ذكره تعالى في مقامات مختلفة (القضاء والحكم بالاحسان إليهما، والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى) واستشهد لهذا الإقران بآيات قرآنية، وأورد في الأخير حكم الإحسان لهما تقريراً في آية أخرى بلفظ الوصية لتكون النتيجة في الأخير حفظ حكم الله وأمره فيهما.

شروط الحجة المنفية:

1.**شرط المضمون القضوي:** أورد الشيخ مجموعة من الأحكام الجازمة التي تنطوي كل منهما على قضية مخصوصة فمثلاً في إبطاله لمزاعم البعض حول أكمال أحوال العابد، أنى رحمه الله بالحكم الجازم، وهو خطأ هؤلاء فيما زعموا وينطور تحته مجموعة من

القضايا منها: أن العبادة مبنية على الخضوع والتذلل والافتقار، أتم مظهر للعبادة فوق الإنسان وطمعه... أن حق الإجلال والتعظيم لله تعالى يكون بإظهار كمال نقص العبادة.

2. **الشرط الجوهري:** الملاحظ لابن باديس أنه اجتهد في الإثبات بهذه القضايا والأحكام لإبطال هذه الدعوى، وسعي منها الإقناع متلقيه.

3. **شرط الصدق:** إذا لاحظنا الدعوى السابقة فقد اعتقد ابن باديس كذبها وخطأها وصدق ماجاء به من قضايا لإبطالها.

4. **الشرط التمهيدي:** نظنّ في اعتقادنا أن أبن باديس كان يعتقد أن متلقيه مسلم بالدعوى وأن سلّم بالقضايا التي جاء بها لإبطالها.

يتّضح من خلال هذه الشروط أن ابن باديس أولى أهمية لمتلقيه؛ ذلك أنه أولى عنايته بالهدف الذي يرمي إليه إضافة إلى معرفته بسمات الخطاب الحجاجي، و عناصر السياق والمقام ومعرفته بأحوال مخاطبيه.

4.التقنيات والوسائل الحجاجية في تفسير مجالس التذكير

ما يمكن الانطلاق منه أن الخطاب الحجاجي أو أي خطاب (ن) ضربان (ظاهر بلفظه، تلميحي بمفهومه)، وهو ما أشار إليه "أبو حامد الغزالي" في قوله: « والنص ضربان ضرب هو نص بلفظه ومنظومة: ... وضرب هو نص بفحواه ومفهومه نحو قوله تعالى: « فلا تقل لهما أفّ» الإسراء 23... فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم... أسبق إلى الفهم منه من نفس... التأفيف، ومن قال ان هذا معلوم بالقياس فإن أرادية أنّ المسكوت عنه عرف بالمنطوق فهو حق، وإن أراد به أنه يحتاج فيه إلى تأمل أو يتطرق إليه احتمال فهو غلط».[1]

[1] المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م، ص 184.

من هنا كان من الضروري أن يزواج المرسل بين هذين الغربين في الحجاج أو غيره من الخطابات الأخرى؛ ذلك أن المرسل إليه لديه كفاءة تداولية في تأويله الخطاب قصد الوصول إلى مقاصد المرسل وإدراك حججه.[1]

تقسّم تقنيات الحجاج من وجهة نظر اللغويين إلى فئتين، ويخصّ هذا التقسم تقنيات الحجاج اللغوية، متمثلة في تقنية طرق الوصل وتقنيات طرق الفصل « ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلباً وإيجاباً، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلاً واحداً أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها».[2]

إذن هذه التقنيات عبارة عن أدوات تكمن أهميتها في تنظيم العلاقات بين الحجج ونتائجها.

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

« الأدوات اللغوية الصرفية: مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصول النسبي والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصوف وتحصيل الحاصل.

الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع التمثيل.

الآليات شبه المنطقية: ويجسّدها السّلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: لكن حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوحيد ودرجات التوحيد والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة».[3]

---

[1] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 476.

[2] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 477.

[3] المرجع نفسه.

إذا نظرنا إلى استراتيجية الحجاج والتي هي الإقناع، فهي المعتمدة في إقامة هذا الحجاج كما أنها هدف لممارسته من طرف المتكلم ، من هنا عدّت الوسائل والتقنيات التي تقع تحت هذه الاستراتيجية متمثلة في:

أ.الوسائل اللسانية: والمقصود بها أدوات الاتساق والرّابط والانسجام النصي، التي قد تستعمل استعمالاً حجاجياً من أهمها:

1.الإحالة: وتمكن حجاجتها في انها لا تكتفي بذاتها وإنما لا بد من العودة إلى ما تشير إليه لتأويلها. وهي نوعان: مقامية ونصية بقسميها (القبلية والبعدية) وهما معاً يؤثر في السامع أو المرسل إليه حيث يلجأ إلى البحث عن الشيء المحال له قصد فهم المعنى، ولا يتأتي له ذلك إلا إذا تم مراعاة ما تسند إليه.[1]

ومن نماذج الإحالة الحجاجية في التفسير نجد:

أ.إحالة مقامية (خارجية) : أي أن الشيء المحال عليه خارج النص ومن أمثلتها:

ما أورده في قوله تعالى: « وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً »[2] ، حيث بين الشي ما تحيل إليه عبارة آية الليل وآية النهار انطلاقاً من خلال الرابطة (الفاء) الذي يفيد في نظره الترتيب في الذكر، والترتيب في التعقل لأن: « القمر والشمس بعض من آيات الليل والنهار، والجزء متأخر في التعقل عن الكل»[3].

من هنا نظر ابن باديس إلى ما تسند إليه لفظة « آية» في كل من الليل والنهار، وهو شيء خارج النص على المرسل إليه تصور هذا المحال إليه، وهو يعتبر بالنسبة لآيتي الليل والنهار جزءاً منها؛ فالقمر من سياق الآية ينصح أنه كان مضيئاً ثم أزيل ضوؤه. أما

[1] ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص 16-17.

[2] الإسراء(12).

[3] تفسير في مجالس التذكير، ص 46.

الشمس فجعلها مبصرة من أوّل خلقها ويساند هذا البحوث العملية والإكتشافات في علم الفلك والأجرام.

وفي قوله تعالى « رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥»[1] ، يرى الشيخ أنّ الآية أفادت أنّ الأعمال هي دليل الصلاح، ولا يكون إلا بها وبالتالي العباد يتفاوتون في درجات الصلاح حسب تفاوتهم في الأعمال التي هي أعمال: جوارح وأعمال قلوب وعليه (فالأوّابون) هم الكثيرو الرجوع إلى الله تعالى لأن الأوبة في كلام العرب هي الرجوع. والتوبة تعني الرجوع عن الذنب والإقلاع عنه.[2]

يظهر أن (الأوّابين) في الآية أحالت إلى خارج النص عن صفة الصالحين أنهم كثيرو الرجوع والتوبة لله تعالى وهو شرط الابد منه؛ذلك أن الآية اشتملت على فعل الشرط (أن تكونوا صالحين) وعلى فعل الجواب (فإنه كان للأوابين غفوراً).

وفي قوله تعالى: « وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ »[3]، أشار ابن باديس إلى أن (ذا القربى يحيل إلى الأصل وهما الأبوان وما يتصل بالمرء من ناحيتها من أصولهما، ويحيل إلى الفصل وهم الأبناء والبنات وما يتصل به منهما من فصول.

أمّا كلمة (حقّه) فتحيل إلى الثابت شرعاً من صلة رحم، ونصيب إرث، ونفقة فرض، ونذب، وإحسان بالقول والعمل، ومواساة عن محبة وعطف.

ب- الإحالة النصية (قبلية، بعدية) ومن أمثلتها في التفسير ما أورد رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: « قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ »[4] ، يقول «.. كانت دعوته هذه بوجوهها كلها واضحة جلية لا خفاء بها،

[1] الإسراء(25).

[2] ينظر: في مجالس التذكير، ص 75-76.

[3] الإسراء(26).

[4] يوسف(108).

كما قال صلى الله عليه وسلم « وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» فكانت مشاهدة معينة، كما أشير إليها في الآية إشارة المعيّن المشاهد».[1].

فالإشارة بالضمير (هذه) الإشارة إلى قريب معيّن، في نص الآية هو «سبيلي» وهي إشارة إلى لاحق.

و في تفسيره لقوله تعالى: « أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ »[2].

في نص الآية إشارة بالإسم (أولئك) إلى المعبودين الذين وصفهم[3] في الآية السابقة، قال تعالى « قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ».[4]

فهذه الإحالة نصية إلى سابق مذكور إجمالاً بغير تفصيل أو بيان معنى واختلف فيمن هؤلاء المدعوّون فقيل هم الجن والملائكة.

2.الحذف:

وهو علاقة نصية، تتمثل حجاجيته في أنه يجعل القارئ يملأ فراغ المحذوف اعتماداً على ما سبق ذكره، وتكمن فائدته في التفخيم والإعظام وزيادة التسويق، لأن الذهن يذهب إلى معرفة المحذوف.[5]

أشار ابن باديس في أكثر من موضوع إلى الحذف ومن أمثلته:

- حذف الإيجاز في قوله تعالى : « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ »[6] ، يقول « فالأصل أنزلناه كذلك،

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ، ص 313.

[2] الإسراء(57).

[3]ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 120.

[4] الإسراء(56).

[5]ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان،ط01، 1957م،.ج3، ص104.

[6] الفرقان(32).

فأوجز بحذف المتعلق لوجود ما يدل عليه من إعراضهم» وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة» وفصّل؛ لأنه جواب عن اعتراضهم».[1]

فحذف الفعل (أنزلناه) هنا لاختصار الكلام وإيجازه على من اعترضوا في نزل القرآن مفرّقا لا جملة واحدة.

من الوظائف الأخرى للحذف تقوية المعنى ففي قوله عز وجل: « إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ »[2] ، فقد حذفت أحصينا الأولى لدلالة الثانية، وكان هذا أقوى في ثبوت الإحصاء ووقوعه على كل شيء.[3]

3.التكرار:

يعتبر التكرار شكلاً من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو إيراد مرادفه أو شبه مرادفه أو أي عنصر مطلق أو إسما عاماً.[4]

وتكمن حجاجيته في إعادة اللفظ أو معناه، بقدر ما يؤكد المعنى ويجليه من نماذج التكرار التي أوردها الشيخ.

التدرج في توضيح معنى (الطيب) وحكمه في آيات الذكر الحكيم، [5] فقد جاء الطيب في قوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ »[6] ، بمعنى ما صلح واعتدل في النفسي وكان مستنداً، سواء أدرك بالسمع، أو البصر، أو الذوق، أو الشم، أو اللمس، أو العقل. فهو لذيذ لذة حسية وعقلية، ويقابله القبيح

---

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 178.

[2] يس(12).

[3] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 309.

[4] ينظر لسانيات النص، محمد خطابي، ص 24.

[5] ينظر: تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 353.

[6] المؤمنون(51).

المستقذر حساً وعقلاً؛ فجاء حكم الطيب (حلال) والخبيث (حرام) في قوله عز وجل: « وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ» [1] ، بهذا صار الطيب في لسان الشرع يجيء كثيراً بمعنى الحلال، ويكون ضده الخبيث بمعنى الحرام، ومنه: « كلوا من الطيبات» المحللات، ويكون ضده الخبيث بمعنى الحرام، ومنه: « كلوا من الطيبات» المحللات، ويخرج من هذا ما ليس ملكاً لك؛ لأنه ليس طيباً لك شرعاً، فهو مستقدر من العقل بما فيه من التعدي المستقبح في العقل (تناوله دون إذن صاحبه) كما يجئ الطيب بمعنى الجيد، والخبيث بمعنى الردئ، وعليه قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ »[2].الملاحظ هنا لتكرار معنى الطيب أنها تدل على الجيد (الحلال) الذي فيه لذة حسبة معنوية، والذي له علاقة بالانفاق والكسب وجل العمل الصالح، وجاء هذا المعنى ليؤكد على أهميته في مقابل ما يضاده (الخبيث) الردئ.

ب/الوسائل الأصولية الفلسفية:

1.القياس: يعتبر من أبرز الوسائل الحجاجية وهو في نظر طه عبد الرحمن « فعالية استدلالية خطابية».[3]

ويفهم من هذا أنه وسيلة حجاجية في الخطاب ليكون أكثر إقناعاً. ويتقاطع مفهوم القياس مع التمثيل حيث:

2. التمثيل: فيه تعقد « الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج، وبيان حججه».[4]

[1] الأعراف(157).

[2] البقرة(267).

[3]في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، ص 98.

[4]استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 497.

ويكمن التقاطع بينهما في كون القياس « إظهار لوجود الشبه بين الشيئين»[1] بمعنى أنه يقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما.[2]

فيمكن القول: « إن القياس هو البنية الإستدلالية لكلى قول طبيعي، حقيقة كان أو مجازاً، فإن الأول مجازاً، فإما أنه استعاري أو غير استعاري، فإن كان الأول فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تقوم بها الاستعارة، وإن كان الثاني فمردّه إلى دلاله المفهوم المعتبر في القياس، وأما إن كان القول حقيقة فلا مندوحة من التسليم بأن تعقله».[3]

من نمادج القياس الواردة في التفسير وهي كثيرة، ولا غرابة في هذا لأن الشيخ كان له هدف واضح من خلال هذا البيان فمثلاً في تفسير لقوله تعالى «قُلِٱدۡعُواْٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ »[4].

فالمعلوم أن دعاء غير الله عبادة للمدعو، لذلك وضع الشيخ يده على الداء الذي كان المجتمع الجزائري يعاني منه قياساً على معنى الآية الكريمة يقول « إذا علمت هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وعند الجزائريين، نجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال. فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون.

ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو زظلمت بها المساجد فيدعون من فيها ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم، فيكف يتركونهم؟؟؟

---

[1] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص 99.

[2] ينظر : المرجع نفسه ص 98.

[3] المرجع نفسه، ص 115.

[4] الإسراء(56).

وقد يهددونهم بقطعه الزيارة، وحبس النزور.

وتراهم هناك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!!.

فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم؟؟؟[1]

فقد اعتبر ابن باديس دعاء غير الله بأنه عبادة له سواء كان المدعو من الجن أو الملائكة أو العبيد (الناس) أحياء كانوا أم أموات. ومثّل بحال المجتمع الجزائري في زمانه من دعاء من يعتقد فيهم الصلاح سواء كانوا أحياء أو أموات، وعدّ هذا الدعاء وهذا التوجه لهم عبادة لهؤلاء المدعيون حتى مع عدم اعتقادهم بأنها ليست عبادة، فالشارع الحكيم يقضي بأنها عبادة لهؤلاء المدعوين حتى مع عدم اعتقادهم بأنها ليست عبادة، فالشارع الحكيم يقضي بأنها عبادة بنص الآية المذكور.

نستخلص من هذا القول أن القياس آلية منطقية حجاجية، فقد تمكن الشيخ من الاعتماد عليها في إقناع من يعترض كلامه، فبدأ بالأصل الذي هو نص الآية إلى الفرع وهو التمثيل بحال المجتمع الجزائري من دعاء أهل القبور مثلاً، أو جود شبه بين معنى الآية وما قاس عليه، وهنا يظهر المكانة التي يحتلها القياس فهو يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم.

ج/الوسائل البلاغية:

تعتبر البلاغة آلية من آليات الحجاج: ذلك أنها تعتمد الاستمالة والتأشير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الإنشائية وبالتالي يسعى المتكلم إلى إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره، ليتقبّل القضية أو الفعل القائم في موضوع الخطاب.

[1] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 119.

لهذا ما يؤكد اندماج الحجاج مع البلاغة، كون مجال الحجاج هو المحتمل، وغير المؤكد والمتوقع؛ فإنه من مصلحته تقوية طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس.

وبهذا يمكن للأساليب البلاغية أن تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، وبالتالي تعزل عن سياقها البلاغي ووظيفتها.[1]

من الأساليب البلاغية الحجاجية الواردة في التفسير نذكر على سبيل المثال:

1)التشبيه: يعد التشبيه من آليات الحجاج البلاغية، وقد اعتمد الشيخ بن باديس في أكثر ما موضع في تفسيره، وهو بيان وأن شيئاً أو أشياء شاركة غيرها في صفحة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظمة أو ملحوظة».[2]

من أمثلة التشبيه الواردة في التفسير حديث الشيخ في تفسيره لقوله تعالى « وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ »[3] ، فقد بيّن رحمه الله أن شفاء العقائد والأخلاق أساس الأعمال والمجتمع وشفاؤها هو القرآن الكريم « ...فهذه الممالك الإسلامية التي تقيم الحدود القرآنية كالمملكة الحجازية، والمملكة اليمانية، قد ضرب الأمن أوراقه عليهما، كالمملكة الحجازية، والمملكة اليمانية، قد ضرب الأمن ورواقة عليهما، واستقرت السكينة فيهما دون سجون ولا مشانق، مثل أولئك؛ وما ذلك إلا لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام».[4]

ضرب الشيخ مثلاً بالمملكتين الحجازية واليمانية، في زمانه بالممالك التي تقيم الحدود القرآنية على عكس الأمم الغربية، وهو ما قصده بذكر الإسم في (مثل أولئك).

---

[1] ينظر: التداولية والحجاج، صابر الحباشة، س50.

[2] البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، لندن، د.ط، 1999م، ص 20.

[3] الإسراء(82).

[4] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 114.

أما في تفسيره رحمه الله لقوله تعالى: « وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ »[1] ، يبين رحمه الله كيف يرتبك اليأس من رحمة الله بالإعراض عن نعمته، فمن الوجهة الأولى: « أن من أعرض عن نعمة الله قطع صلته بخالقه، وذهب ممعنا في بعده، فإذا نزلت به المصيبة كان كالمقتطع في البيداء يجد نفسه وحده فيأخذه اليأس والقنوط من كل جانب...».[2]

فهنا شبّه حالة المعرض عن نعم الله حين تحل به المصيبة يكون كشخص انقطعت به السبل في صحراء قاحلة، بيداء مقفرة؛ فلا سبيل له من النجاة فينازعه اليأس والقنوط؛ وقد أورد رحمه الله هذا التشبيه هنا ليؤكد على حال هذا المعرض، فإي حال أعظم من هذه.

2/الاستعارة: يمكن عد الاستعارة آلية حجاجية يسعى من خلالها المرسل لتحقيق غايته الاقناعية، وهي أفضل ضروب الجاز وأشدها وقعاً في النفس وتأثيراً في العقل.[3]

وتمثل للإستعارة بقول الشيخ في تفسيره لقوله تعالى « وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾»[4] ، «.. وما أكثر ما قتلت أحكام بآية السيف *هذه! وهي عند التحقيق غير معارضة لها؛ ....لمباينة حالها لحالها».[5]

آية السيف ليست آلة قتال حتى تقوم بهذا الفعل، وإنما المقصود كم من أحكام رُدت بهذه الآية وهي استعارة مكنية ومنها أيضاً قوله رحمه الله: « إن الدنيا هي مطبة الآخرة،

---

[1] الإسراء(83).

[2] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 148.

[3] ينظر: عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، ع9، 2013، ص 284.

[4] الفرقان(63).

* الآية 29 من سورة التوبة

[5] تفسير في مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، ص 196.

فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا، ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة، وإن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا...»[1]

فالمطية الشيء أو الحيوان الذي يمتطى (يركب على ظهره)، فكيف تكون الدنيا مطية للآخرة؟ الأمر هنا حاصل في كون ما كان عليه العبد في الدنيا، سيكون في نتيجته وجزائه في الآخرة.

نخلص من كل هذا أن الحجاج بالمجاز يكون أبلغ وضوحا، وغاية في البيان.

في الختام يمكن القول أنّ ابن باديس سعى من خلال تفسيره إلى وضع برنامج عملي، يخدم غرضه ويضمن فعّاليته؛ فقد نحى منحا اجتماعياً نفسياً، تربوياً، واستعان بخاصية الحجاج ليحقق هدفه التفسيري.

لذلك اكتسى خطابه طابعاً حوارياً حجاجياً، فهو يستدرج المتلقي (السامع) ليثبت دعواه، باستخدام مجموعة من الحجج والأدلة المدعمة لهذه الدعوى، على أن هدفه الأسمى تجلى في تبصير المجتمع والشعب الجزائري عن طريق كشف ما يعاني من داء وبحث أنجع الدواء، وببلوغ المفسر غايته هو أهم ما يمكن أن يوضح مكانة الخطاب الحجاجية.

[1] المصدر السابق، ص 201.

خاتمة

خاتمة

أسهمت اللسانيات التداولية كتيار حديث بسد الفجوات التي تركتها النظريات اللسانية السابقة لها، بنظرتها القاصرة للملفوظات وعدّها بنية مغلقة معزولة عن السياق التواصلي، و إقصاء كل مرجع خارجي يحيل إلى بنيتها الملفوظية.

الشيء الذي جعل الباحثين يوجّهون اهتماماتهم نحو اتجاه جديد يمكّنهم من حل هذه المشكلات، من خلال إعادة النظر لسياق التلفظ وما يحيط به، والإجابة على كثير من الأسئلة التي لم تتمكّن النظريات السابقة من إيجاد إجابات لها.

ونظرا لأهمية هذا التيار عمدنا من خلال هذا البحث إلى قراءة تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس في ضوء البحث التداولي، وحاولنا من خلال هذه القراءة الوقوف على أهم الأبعاد التداولية المبثوثة في التفسير، من خلال مجموعة من المباحث تمثّلت في: أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، الإشاريات، الحجاج.

و بعد هذا العرض البسيط حول النظرة الباديسية للنص القرآني ومحاولة كشف مباحثها اللسانية التداولية، من خلال مدوّنة التفسير، يمكن أن يُختم هذا البحث لهدف لفت نظر القارئ الكريم لجملة وأهم نتائج البحث الممثّلة في النقاط التالية:

- يعدّ تفسير ابن باديس مدوّنة لغوية بالغة الأهمية، قبل أن يكون مصدراً للفكر الإصلاحي في الجزائر.
- يمثل هذا التفسير (في مجالس التذكير) محصّلة فهم ابن باديس للقرآن الكريم وتفهيمه له، وإن لم يصلنا منه سوى هذا الجزء اليسير.
- لم يخرج ابن باديس في تفسيره –بالنظر إلى مصادره في التفسير– عن منهج سابقيه، إلاّ أنّ نظرته للتفسير متميّزة عنهم، ويفسّر هذا الزمان والمكان الذي عاش فيهما الإمام .

- إذا أمعنّا النظر في اختيارات ابن باديس للآيات القرآنية ؛فإنها لم تكن محض صدفة، بل كانت ترمي إلى هدف كما خدمت مساره الدعوي الإصلاحي، وهذا ما جعله يبني تفسيره على أسس تواصلية مراعيا بذلك استرتيجيات التخاطب، خاصة الاستراتيجية الحوارية التي انطبع بها التفسير؛ فقد أكّد ابن باديس من خلال قراءتنا للتفسير كل ما يمكن أن يحكم العملية التواصلية ويؤثر فيها.
- لقد وضع ابن باديس انطلاقاً من هذه الاختيارات برنامجاً عملياً؛خدمةً لغرضه، وضمان فعّاليته، وهو بهذا ينحو منحىً اجتماعياً، نفسياً، وحتى تربوياً، لهذا السبب برزت مكانته، وتعدّدت قيمته وخصائصه.
- اهتم ابن باديس من البداية على قاعدة التفسير الأساسية، لكنه لم يغفل دور السياق و أطراف التواصل، ومناسبة نزول الآيات، وأثر كل هذا في تأدية معنى العبارة وتوجيه دلالتها.
- سعى ابن باديس في تفسيره إلى كشف صورة المجتمع الجزائري من خلاله، ولم يعالج النص القرآني بمعزل عن الواقع؛ فكثيرا ما يستحضر ما يعانيه الشعب الجزائري من داء ويحاول كشف دوائه في آيات الذكر الحكيم.
- و لا يمنع هذا من تجلي بعض المسائل العامة والهامة التي حدّد بها ابن باديس مقصدية النص القرآني، والتي من أهمّها:
- عنايته بالمناسبة و أ سباب النزول و العلاقة بين السور، إذ تعتبر كلّها من القرائن التداولية التي تساعد في فهم الخطاب، فمثلا أسباب النزول لها أهمية في موافقة الخطاب لمقتضى الحال، ومن خلالها يستحضر سياق التلفظ الذي بدوره يعين في فهم دلالات القرآن فهما دقيقا ومعرفة أحكامه.
- اهتم الشيخ ابن باديس بالأفعال الكلامية المبثوثة في النص القرآني و استجلى حقائقها، وكشف معانيها، واستثمرها في مجالي الترغيب والترهيب، كما كشف

المعاني المستلزمة في خطابه تعالى لعباده سواء انبثقت هذه المعاني عن الخبر أو الإنشاء.

- كما اعتنى بالإشارة بأنواعها و الإحالة وربطها بمضمون النص القرآني، سواء على مستوى الآية الواحدة أو على مجموعة من الآيات أو على مستوى النص القرآني كله.
- يعتبر أسلوب الحوار لدى ابن باديس ذا فعالية حجاجية، من خلال توظيفه الحجج والأدلة والبراهين لإقناع المتلقي.
- الملاحظ لتفسير ابن باديس أنه قائم على صيغة السؤال والجواب، وهو من الآليات التداولية، فمن خلاله يستحضر الخطاب التداولي.
- يقع خطابه هذا بين سلطتين هما: النص المفسّر و المتلقي.
- بلوغ غاية المفسّر هو أهم ما يمكن أن يوضّح مكانة الخطاب الحجاجية. فابن باديس توصّل إلى إقناع متلقيه عن طريق استراتيجيته في الإقناع بمختلف آلياتها وتقنياتها اللغوية اللسانية، البلاغية...، واختيار ما يمكن أن تكون به الحجة والإقناع مع ملاءمة السياق والمقام.
- تعدّ نظرة ابن باديس للخطاب القرآني نظرة قائمة على رؤية وظيفية؛ فقد راعى في تفسيره مقتضى الحال، السياق، المقام ...، و عرّج من خلال هذا إلى الأفعال الكلامية بنوعيها المباشرة وغير المباشرة .

لعلّ هذه هي أهم النتائج، فمن جهة أخرى يبقى هذا البحث قاصراً عن سد الثغرة في هذا الموضوع ؛لذلك الأجدر بالباحثين أن يسعوا إلى تكريس وتكثيف جهودهم لبحث وبعث هذا العلم التراثي الأساس من جديد ؛فيأخذ القديم الأصيل(ما وقفت عليه الدراسات القرآنية) بيد الحديث والمستحدث (اللسانيات التداولية)، ليبنى من الاثنين معا أصول وأسس علم لغوي تداولي متكامل .

وبالنظر إلى تفسير ابن باديس، هذا الأثر العظيم الزاخر بالعطاء، حري بباحثينا التصدّي لدراسته من جوانب وفي مجالات مختلفة، من شأنها أن تثري مجال الدراسات(في

مختلف التخصّصات) عندنا، كما أنّها تُسهم في المحافظة على تراث أمة عانت ويلات الاستعمار لفترة طويلة من الزمن .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية ورش

ثانياً: المراجع والمصادر العربية:

.

1. ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، محمد بهي الدين سالم، دار الشروق، القاهرة ط1، 1420هـ/1999م.
2. الإتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2013.
3. آثار ابن باديس، إعداد: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1417هـ/1997م، مج1.
4. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين الآمدي، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ج2.
5. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2004م.
6. أسرار العربية، عبد الرحمن أبو البركات بن الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999م.
7. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تح: د/ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، علي حسن، 1997م.
8. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، د–ط، 2002م.
9. الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي)، كمال أبو سنة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، أفريل /2005م.
10. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن أبو البركات بن الأنباري، المكتبة العصرية(صيدا– بيروت)، ط1، 2003م، ج1.
11. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون في العلوم الإنسانية، تونس، ط 1.

12. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د–ط، د– ت، ج4.
13. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل (بيروت)،مج:3.
14. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط01، 1957م، .ج3.
15. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عام المعرفة، أغسطس، 1992م.
16. البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، لندن، د.ط، 1999م..
17. البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د–ط، 1423هـ، ج1.
18. تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954م، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج1.
19. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت (لبنان)، ط2، د–ت.
20. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النحاج الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2006م.
21. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1993م.
22. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط1، 2005م.
23. التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سورية، الإصدار الأول، 2008م.

24. تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الإمام ابن باديس، بقلم: البشير الإبراهيمي، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب و القرآن الكريم، الجزائر، ط 1، 1430هـ/2009م، مج1.
25. تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، .
26. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م، ج2.
27. التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1981م دت.
28. التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبط عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط01، 1904هـ.
29. التواصل والحجاج، طه عبد الرحمان، مطبعة المعارف، الرباط، دت.
30. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص850.
31. تيسيرات لغوية، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د–ط، 1990م.
32. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح : محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج7.
33. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د(ة)/ خلود العموش، جدارا للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط1، 2008.
34. الخطاب وخصائص اللغة العربية(دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، د/ أحمد المتوكل، دار الأمان الرباط، ط1، 2010م،
35. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2000م.
36. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1992م.

37. سبب وضع علم العربية، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح: المروان العطية، دار الهجرة، (بيروت – دمشق)، ط1، 1988م.
38. شرح الأشموني لألفية بن مالك، علي بن محمد بن عيسى نور الدين الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1998م، مج 2.
39. شرح الراضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق يحي بشير المصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ق02، ط01، مج1.
40. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د–ط)، (د–ت)، ج4.
41. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، دار التراث ، القاهرة، ط20، 1980م.
42. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، تركي رابح عمامرة، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر، الإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، ط5، 1422هـ/2001م.
43. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1997م.
44. الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، د–ط، 1419هـ.
45. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تح: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية(صيدا–بيروت)، ج1، ط1، 2003م.
46. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000م.
47. في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة(دراسة دلالية ومعجم سياقي)، د/ علي محمود حجي الصراف، دار الآداب، القاهرة، ط1، 2010م.
48. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، د/ أحمد المتوكل، ص138.(يتأكد منه)

49. الكتاب: عمرو بن بحر بن قنبر(سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج2/.
50. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
51. لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي،بيروت لبنان، ط01، 1991م.
52. اللسانيات الوظيفية–مدخل نظري–، د/ أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، ط 2، 2010م.
53. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د–ط.
54. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م، .
55. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط2 1407 هـ – 1987 م.
56. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط1، 1993م.

ثالثاً: الدواوين

1. ديوان أبي الأسود الدؤلي، تح/ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1964م.
2. ديوان محمد علي خليفة، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، (د–ط)، 2010م.

رابعاً: المراجع المترجمة:

5. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول، جاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيبانى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2003.

6. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع (سورية)، ط1، 2007.
7. التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
8. العقل واللغة والمجتمع(الفلسفة في العالم الواقع)، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.
9. اللغة والفعل الكلامي والاتصال (مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين)، زيبيله كريمر، تر: د/ سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2011.
10. مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، جوتس هنده لانج، تر: د/سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2012.
11. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، بيروت–لبنان، د–ط، 2000.
12. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 1991.

خامساً: المعاجم والقواميس:

1. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ /1998م، ج1 .
2. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية (بيروت– لبنان)، ط1، 1983م.
3. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط8، 2008م.
4. القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.
5. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ

6. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د/ نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب الحديث(عمان، الأردن)، ط1، 2009.
7. المعجم المفصل في علوم البلاغة، باب الألف، إنعام فوّال عكاوي، دار الكتب العلمية (بيروت –لبنان)، ط2، 1996.
8. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا(تونس).
9. معجم لونجمان للإنجليزية الحديثة، إنجليزي عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان مصر، 2007، لبنان، ط، 2011,4.
10. معجم(الأعلام) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت–لبنان، ط15، مايو/2002م ج3.

سادساً: الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد صوينت، كلية الآداب جامعة المستنصرية، ط 1430هـ/2009م.
2. المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الإستلزام التخاطبي أنموذجاً، ليلى كادة، إشراف بلقاسم دفة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم اللسانيات العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة، دون تاريخ.

سابعاً: المجلات والدوريات

1. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، سمية عامر، الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات، م2، ع3، 2019م.
2. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، حنانا جابر الحارثي، الاستلزام الحواري في سورة النساء: دراسة تحليلية لآليات الخطاب والتأويل القرآني لدى الزمخشري، جامعة الأميرة نورو بنت عبدالرحمن، العدد 93، 2021.
3. مجلة الحقيقة، عبد الحفيظ تحريشي، التداولية مفاهيم ومصطلحات، جامعة أدرار، ع20، مارس 2012.

4. مجلة المخبر، باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، 2011.ع
5. مجلة المخبر، عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ع9، 2013.
6. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي الوادي، ع1، ربيع الأول: 1430هـ/ مارس 2009م.
7. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، د. صلاح إسماعيل، القصدية في المعنى عند جرايس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع 25، 1426هـ/2005م.
8. الجامعة الإسلامية، سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين، المدينة المنورة، ع: 79–80، رجب – ذو الحجة،1408هـ.

فهرس الآيات والسور

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	57
	﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ﴾	83	58
	﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.	286	59
	﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	60
	﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾	223	61
	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾	258	137
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾	267	162
آل عمران	إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾	140	7
	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	61

النساء	﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾	78	
	﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾	36	136
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾	105	57
	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾	15	94
الأنعام	﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾	80	137
الأعراف	﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ ﴾	177	67
	﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾	157	161
يوسف	﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾	108	79- 90 159
النحل	﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾	125	91
الإسراء	من الآية 21 إلى الآية 83		73- 165
مريم	﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ	73	60

	ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ ﴾		
طه	﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾	114	92
الأنبياء	﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	52	60
المؤمنون	﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾	112	60
	﴿۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	69
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾	51	94
النور	: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾		91- 96- 152
الفرقان	من الآية 01 إلى الآيى 77		من 62 إلى 169
الشعراء	« وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ »	82	148
النمل	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾	15	78
	: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	85- 111
	﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾،	20	93

القصص	﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾	76	58
العنكبوت	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾	08	83-150
لقمان	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾	14	83
الصافات	﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٧﴾	177	67
غافر	﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧﴾	47	137
الشورى	﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦﴾	16	137
الذاريات	﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢﴾	12	61
	﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨﴾	48	66
	﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾	50	96
الحشر	﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾	7	08

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

بسملة

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل 6

1/ البحث التداولي مفهومه ونشأته. 7

2/ الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).. 24

الفصل الأول: الأفعال الكلامية من خلال تفسير (في مجالس التذكير) 32

1.الأفعال الكلامية بين البحث الغربي والتراث العربي: 33

2.نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي: 49

3.الأفعال الكلامية في تفسير ابن باديس: 79

4.ظاهرة الإستلزام الحواري عند ابن باديس 101

الفصل الثاني: الإشاريات وأنواعها في تفسير (في مجالس التذكير) 113

1.مفهوم الإشارية 114

2. الإشاريات والإحالة: 118

3. أنواع الإشاريات في تفسير مجالس التذكير: 121

1/ الإشاريات الشخصية: 121

2/ الإشاريات الزمانية: 127

3/الإشاريات المكانية: 129

4/الإشاريات الخطابية: 132

الفصل الثالث: الحجاج من خلال تفسير في مجالس التذكير 135

1.الحجاج (مفهومة، ضوابطه ومفاهيمه الأساسية)..... 136

1.الحجاج في اللغة والاصطلاح: 136

أ/ مفهوم السلالم الحجاجية: 139

ب/الروابط والعوامل الحجاجية:..... 141

2.أصناف الحجاج و أنواع الحجج الباديسية:..... 142

أ/ الحجاج التوجيهي: 142

ب/ الحجاج التقويمي: 145

ج/أنواع الحج الباديسية: 148

1.حجج التبرير l'argument de gaspillage: 149

2. حجة الاستشهاد: 149

3.حجة المثل:..... 152

4.حجة الاتجاه: 153

3/الشروط التي نجحت بها الحجة الباديسية. 154

4.التقنيات والوسائل الحجاجية في تفسير مجالس التذكير 156

خاتمة 168

قائمة المصادر والمراجع 173

فهرس المحتويات 187

ملخص:

سعينا في هذا البحث الموسم بالأبعاد التداولية في خطاب التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى كشف مفاهيم التداولية المبثوثة في هذا المصنف والتي إستثمرها الشيخ بن باديس في فهمه للنص القرآني وعلاجه أمراض المجتمع أنذاك، الأمر الذي أستوجب منا اعتماد آليتي الوصف والتحليل المناسبتين لمعالجة الموضوع .

الكلمات المفتاحية: التداولية، التفسير، الخطاب، النص القرآني

Abstract

We have sought in this research entitled: pragmatic dimensions in Abdu Alhamid Ibn Badis speech's explanation to discover the concepts of pragmatics which are included in this explanation. These concepts were used by Abdu Alhamid Ibn Badis to grasp the meaning of Quran and to deal with the community diseases. Thus we discussed this subject by analysis and description .

Key words: pragmatic, descriptive(explanation), speech, Quranic text.